الندوة

العدد السادس – كانون الثاني 2024

نشـــرة إلكترونية فصلية تصدر عن الندوة الثقافية المركزية

إيجاد نهضة ثقافية واحدة

ولـــما كانت مهمة الـــحزب القومي الاجتمـاعي إيجـاد نهضـة ثقافية واحدة في جميع الدول السورية، التي تـجمعها في الأخير رابطة الـــمصير الواحد ووحدة الـــمصـالح الاقتصـادية والسـياسـية، فقد أبرزت في خطـابي فكرة العمـل القومي الاجتمـاعي، الثقافي، العام، في هذه العبارة: "إنّ الكيـان اللبنانـي يجب أن يكـون نطـاق ضمان للفكر ولانطـلاق الفكر في سورية الطبيعية كلها."

سـعاده، مشـكلة الحرية تحلّ بالحرية، الجيل الجديد، بيروت، العدد 7، (1949/04/14)

في هذا العدد

- ✓ رسالة عمدة الثقافة والفنون الجميلة
- ✓ كلمة رئيس الندوة الثقافية
- ✓ الثقافة النظرية والثقافة العملية – **وليد زيتوني**
- ✓ أهمية الثقافة، ودور الحزب الثقافي – ماهر يعقوب
- ✓ الثقافة مدماكٌ أساسيّ في النهضة القومية – محمود شريح
- ✓ إشكالية الثقافة مع الأطر الحزبية– **إميل عبود**
- ✓ الثقافة كأساس في بناء الوعي وتشكيل الهوية – زهير فياض
- ✓ ثقافة الحياة – مكرم العريضي
- ✓ مشروع التراث السوري الافتراضي – **إبراهيم مهنا**
- ✓ الثقافة في المشروع القومي الاجتماعي – نسيب أبو ضرغم
- ✓ لقد أسأنا فهم سعاده... فأسأنا إليه – شحادي الغاوي
- ✓ المنهج القومي ومفردات الخطاب الديني – أحمد أصفهاني
- ✓ وأنا سائرة معهم يا زعيمي... – جولييت المير سعاده

قوة النهضة في مواجهة "القوة الناعمة"

بقلم عميد الثقافة والفنون الجميلة

الرفيقة الدكتورة فاتن المر

في بدايات القرن الواحد والعشرين، راج استعمال عبارة "الحرب الناعمة" للإشارة من قبل الباحثين إلى كل الوسائل الثقافية المخفية التي قد تلجأ إليها دولة ما في حربها على أخرى، بالتلازم، أو مع توقف الحرب الصلبة التي تستعمل القوى العسكرية والأسلحة المتنوعةً. وإن كان المصطلح حديثاً، فإن سياسات الدول الاستعمارية توسلت هذه الأساليب الخبيثة منذ زمن بعيد لتحيك سرديتها التي تسوغ حروبها واستغلالها مقدرات البلدان التي سيطرت عليها، ولتعبث بمفهوم الشعوب لهويتها ولتزعزع انتماءها.

أما عدونا الذي لا يتوقف عن وضع الخطط المبنية على دراسات علمية معمّقة من أجل الوصول إلى أغراضه، فهو لا يتوانى عن شن حربه الناعمة التي تعمد على التأثير على أفكار وبالتالي سلوكيات أبناء شعبنا. ولأنه يحترف اللعبة الإعلامية، ويسخِّر لأغراضه، بالتعاون مع حلفائه في الغرب، وسائل سمعية – بصرية غزت العالم بأسره فارضة الكثير من المفاهيم الخاطئة على أذهان الشعوب، وبشكل خاص الشباب منهم، فهو بلا ريب متقدم في هذا المجال. وقد تكون الحرب الناعمة أشد خطراً من نيران الأسلحة، فهي تعمل على هدم أسس المجتمع وتفتك بالقيم التي يجب أن تشكل عنصر لحمة لأبناء الشعب. وقد تغرقه في قضايا هامشية وشؤون صغيرة، حارفة تفكيره عن مصالحه الكبرى، ساجنة إياه في جهل يستطيب الإقامة فيه. ولعل أخطر مضمار في عملها هو إعداد مجموعات من الشباب الذين يتمتعون بصفات قيادية، أو يبرعون في إحدى وسائل التواصل، وزرعهم (وأحياناً كثيرة إيصالهم إلى مراكز نفوذ) في مجتمع لديه نقص خطير في المناعة فيصبح قابلاً لاستقبال كل التشوهات المرضية.

ولأن حزبنا هو حزب النهضة والوعي، تقع عليه قبل غيره مهمة المواجهة الثقافية بالتوازي مع المواجهة العسكرية. من غيره يملك القدرة على مواجهة هذه التحديات الثقافية متوجهاً بخطابه المضاد إلى كل أبناء شعبنا من دون تمييز؟ من غيره قادر على سماع الزحف الصامت لهذه الحرب الخطيرة؟ من غيره يملك إمكانية جمع المفكرين وتجنيدهم لمواجهة الخطط التي تضعها العقول المعادية، في حين تقصر دول كيانات الأمة والعالم العربي عن وضع أي استراتيجية للمواجهة؟ من غيره يخضع المقبلين عليه لدورات ثقافية توعوية تحصّنهم من الانجرار وراء التزوير القاتل؟ من يجرؤ على النظر إلى البلبلة الثقافية الناتجة عن الأسلحة الناعمة بعين متحررة من كل موروث مكبِّل، مستعدة لحداثة ترتقي بفكر وحياة أبناء أمتها؟

قد تكون المواجهة الثقافية هي في أساس الغاية التي وضعها سعاده، ولكنها اليوم تبدو مسألة حياة أو موت لهذه الأمة التي تشنُّ عليها كل أنواع الحروب المدمّرة، إذ نقف اليوم في مواجهة مؤسسات كبيرة، تحظى بقدرات هائلة وتمويل لا ينضب... لكن إمكانياتنا القليلة لا تعني عدم قدرتنا على تنكب مهمة الصراع، فقدرات جيش صغير من المؤمنين المتطوعين المدفوعين بإخلاصهم لوطنهم قد تضاهي، إن تنظمت، قدرات جيش كبير من المرتزقة الذين لا يأبهون إلا لرواتبهم.

الفِعلُ التغييري هو عنوان الثقافة النهضوية

بقلم رئيس الندوة الثقافية المركزية
الأمين الدكتور إدمون ملحم

الحديث عن الثقافة قد يطول ويتشـــعب لما تنطوي عليه هذه الظاهرة الإنســانية القديمة قدم الإنســان من معانٍ ومفاهيم ومن أنواع ومستويات ووظائف. ونحن هنا لسنا في معرض الخوض في مفهوم الثقافة وتطورها وفي أنواعها ومراتبها، بل ما يهمنا هو الحديث عن فعلها الحضـــاري ودورها الكبير في عمليات النهوض والتطور والتحديث الاقتصـــادي والاجتماعي والفكري والسياسي وفي ترقية المجتمع بشكل عام.

الثقافة بجوانبها المعرفية – الفكرية والإنسانية والأدبية والتاريخية والفنية والعلمية تُشكِّلُ شأناً أساسياً في نهضتنا القومية الاجتماعية، لا بل هي ماهيتها الأولى، كما يُستنتج من وصف سعاده لعقيدته في خطابه في الكورة عام 1937، إذ يقول: "نحن عقيدة ثقافية اجتماعية اقتصادية سياسية، نعمل لهذا المجتمع لتوحيده من جميع الوجوه."[1] ويؤكد سعاده أن مهمة حزبه القومي الاجتماعي هي "إيجاد نهضة ثقافية واحدة في جميع الدول السورية، التي تجمعها في الأخير رابطة المصير الواحد ووحدة المصالح الاقتصادية والسياسية."[2] وفي رسالة الأرجنتين المنشورة في سورية الجديدة في سان باولو عام 1940، يشرح سعاده أن اهتمامه كان منصبّاً على "رفع مستوى الجوالي السورية الثقافي، وتوليد نهضة سورية ثقافية في المهجر"[3] و"إيجاد الصلات الروحية والثقافية الجيدة وتقوية العلاقات الودية بين الشعب السوري وشعوب العالم الجديد المتمدنة"[4]، وقد أثمر هذا الاهتمام تأسيس «الجمعية السورية الثقافية» بغرض "توليد نهضة ثقافية نفسية وبدنية"[5] الأمر الذي اعتبره سعاده "أعظم حادث اجتماعي جرى منذ بدء الهجرة السورية حتى اليوم."[6]

الحركة القومية الاجتماعية القائمة على عقيدة ثقافية أصـــيلة، توسَّلت، منذ نشأتها، الفعل الثقافي التنويري، التغييري، للقضاء على الأوهام والثقافة الاســـتعمارية والفوضـــى الفكرية والعقائد المهترئـة والمثـالـب الفـاســـدة والجهـل المتفشـــي والتفكير الانحطاطي، ولتحقيق يقظة المجتمع ونهضـــته وإظهار قيمه الجميلة ومثله العليا والانتقال به إلى حياة أفضـــل وأجمل. هذا الفعل الثقافي، فعل التربية والتثقيف ونشر الوعي لـحقيقة الأمة ولوحدة حياتها ومصـيرها، شَـكَّلَ جبهة من جبهات حرب العقائد التي أعلنها ســـعاده حين أطلق تعاليمه الجديدة معتبراً ان هذه الحرب الكبرى ستقرر المصـير القومي كله. ويمكننا القول، أن الجبهة الثقافية لها أهمية كبيرة في حســـم هذه الحرب العقائدية وهذا الصـــراع المميت بين ســـمو وانحطاط... بين عقيدة قوميّة

[1] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني 1935 – 1937، خطاب الزعيم في الكورة (صيف 1937).
[2] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن 1948 – 1949، مشكلة الحرية تحلّ بالحرية.
[3] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الرابع، رسالة الأرجنتين الجمعية السورية الثقافية «طرد خالد أديب أخبار أخرى هامة» منشورة في سورية الجديدة، سان باولو، العدد 76، 27/7/1940.
[4] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، سعادة يخاطب الجالية السورية في البرازيل، منشورة في سورية الجديدة، سان باولو، العدد 16، 24/6/1939.
[5] رسالة الأرجنتين الجمعية السورية الثقافية.
[6] المرجع ذاته.

جديدة بتعاليمها الواضـــحة وغايتها السّـــامية وبين عقائد زائفة قديمة بأســـاليبها وأفكارها الرّجعيّة وأغراضـــها الخصـــوصـــيّة المنحطّة. لذلك قال سعاده: "إنّ حرب العقائد الّتي أعلنّاها نحن حين أعلنّا تعاليمنا السّوريّة القوميّة الاجتماعيّة تتطلّب منّا جعل قضـــيّة الثّقافة في مقدّمة القضـــايا الّتي يجب أنّ نوليها اهتماماً خاصّاً، وأن نخطّط لها الخطط ونرتّب الصّفوف." [7]

نحن لنا ثقافتنا القومية الاجتماعية الجديدة، المميّزة، والمعبّرة عن تاريخنا وشـخصـيتنا ونظرتنا إلى الحياة والقيم وعن سـمو آمالنا وأخلاقنا وجوهر نفسـيتنا الجميلة وما يكمن فيها من خير وعلم وفلســـفة وفن وجمال. ثقافتنا هي ثقافة المحبة والإخاء القومي... ثقافة الوضـــوح الكامل والوعي والمعرفة والتقدم التي تقوم على إرادة الانتصـــار على معوقات الحياة بالعلم وبالعقل الجمعي الحر.. هي ثقـافـة الحريـة والحق والعـدل والمواقف الشجاعة ضد الظلم والباطل والاستبداد والاستعباد. وهي ثقافة هجومية تهاجم الفوضـى والمفاسـد والشـعوذة والسـياسـة النفعية وكل الأوضـاع الشاذة وتدافع عن حقوق الشعب وعن المظلومين والمقهورين والضـعفاء والمضـطهدين وتحرّك الهمم والضـمائر. يجب علينا، كقوميين اجتماعيين مصارعين، أن نضطلع بدورنا الفعّال في مواجهة تحديات المرحلة وفي صـيانة حياتنا القومية بتفعيل هذه الثقافة النهضـــوية الجديدة، القائمة على الخلق والإبداع والانفتاح والمناهضـــة لثقافة التخلف والفســـاد والتقوقع والانقسامات، ونعممها في أوساط الشعب في سبيل إقامة الحياة الجميلة الراقية وبناء المجتمع القومي الموّحد والمتنور.. وكما يؤكد سعاده، "كل ثقافة أخرى، قبل تـــمكين هذه الثقافة، تكون عملاً باطلاً."[8]

ما أحوجنا اليوم إلى هذه الثقافة الإيجابية المنعشة، ثقافة مبادئ النهوض والعمل والبناء... ثقافة الخلق والإبداع والخير والحق والجمال التي تســـير بالأمة في طريق الوعي والبطولة والعز والـــــمجد! بهذه الثقافة القومية الاجتماعية الراقية، "التي هي أســـاس كل ثقافة"[9]، ننشـــئ جيلاً جديداً ونظاماً جديداً وجمالاً جديداً.

بقيادة سـعاده، شَـقّت الثقافة القومية الاجتماعية الجديدة طريقها وفتحت آفاقاً جديدة للفكر وأحدثت تغييراً "في مجرى الحياة ومظاهرها، وفي أغراضـــها القريبة والأخيرة"[10]، وأطلقت تياراً ثقافياً – معرفياً، فاعلاً في ميادين الأدب، والشعر، والموسيقى، وســـائر فروع الفن، وأيقظت وجدان ألوف الأحداث والطلبة والنخب الفكرية والثقافية وحرّكت عوامل الحياة والارتقاء في فئات كثيرة من الشـعب وفي أوسـاط أهل العلم والثقافة والأدب والفنون.

اليوم، ونحن في هـذا الزمن الرديء.. زمن الجهـل والتفـاهـة والانحطاط وزمن القتل والهمجية والإبادة الجماعية، هل نتخلى عن مسـؤولياتنا الثقافية ونتراجع لمصـلحة المرجعيات الطائفية والعشائرية والاقطاعية وأصحاب المآرب الخصوصية ومشاريع التفتيت والهويات الفرعية؟

اليوم، ونحن في ظروف عاصفة يتعرّض فيها شعبنا في غزة الأبيّة للقتل والإبادة وتتعرّض الأمة كلها للغزو الثقافي الصهيوني بغية احتلال عقولنا وإحداث الهزيمة في نفوسنا ويستأنف التطبيع

[7] محاضرة الزعيم في مؤتمر المدرسين، النظام الجديد، المجلد 1، العدد 5، يوليو/ تموز - أغسطس/ آب 1948.
[8] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد السادس 1942-1943، "خطاب الزعيم في العيد القومي".
[9] المرجع ذاته.
[10] سعاده، الآثار الكاملة 1 أدب، الصراع الفكري في الأدب السوري، بيروت، 1960، ص 49.

زحفه في كل الساحات والميادين حيث تتمدّد دولة العدو داخل الأنظمة العربية المتخاذلة وتقيم علاقات طبيعية معها مشرّعة الأبواب لكمّ من التداعيات والمخاطر، وسط هذه الظروف المصيرية، هل نتراجع وننزوي ونتخلى عن دورنا الريادي في التصدي لمصاعب المرحلة الحرجة الراهنة ومخاطرها على وجودنا ومصيرنا؟ هل نتهرّب من مسؤولياتنا الاجتماعية والثقافية ونستسلم للخمول والكسل والتراخي والجمود والاتكال على الباطل؟ نحن، الذين آمنا بمبادئ النهضة السورية القومية الاجتماعية ومناقبها الجديدة، لسنا جماعة انهزام واستسلام واقتناع بحالنا الراهنة واستحالة تغييرها.. بل نحن أصحاب نفوس أبيّة، صادقة، وطافحة بمشاعر العز والكرامة والحرية والجمال.. نحن جماعة وعي وتفكير وإيمان وصراع، ولنا نفوس عظيمة، قوية، لا تتوانى ولا تأبه للصعاب، بل مستعدة دائماً للبذل والعطاء.. نحن لا نبيع "الشرف بالسلامة ولا العز بتجنب الأخطار"[11]، بل نؤمن بأن "الحياة والحرية صراع"[12]، و"نؤمن بنفوسنا قبل كل شيء، بحقيقتنا الجميلة الخيّرة والمحبة."[13] لذلك نحن جنود نهضة عظيمة. "جنود في كل عمل وكل اختصاص ـ جنود في الإدارة وجنود في الإذاعة وجنود في الثقافة وجنود في السياسة!"[14] وسنبقى رأس الرمح في قضية الوعي والثقافة وفي استنهاض قدرات الشعب وإصلاح أحواله.

يجب علينا أن نعيد جبهتنا الثقافية إلى حماوتها وفاعليتها وأن نوليها اهتماماً كبيراً لأنه بدون الثقافة المعجونة بالأخلاق لا تقوم نهضة الأمة ولا تنتصر. الثقافة هي سلاح للتنوير والإصلاح والتغيير والبناء. فلو عدنا إلى معاجم اللغة، لوجدنا أن كلمة الثقافة المشتقة من فعل ثقف تتضمن معاني التأديب والتهذيب والحذق والفطانة والفهم، فيقال يثقف ثقفاً وثقافة أي صار حاذقا خفيفا فطنا فهما أي ذا فطنة وفهم وذكاء. وثقفه تثقيفا أي سوّاه وقوّمه. ويقال ايضاً: ثقف الولد أي علَّمه وهذَّبه ولطَّفه. انطلاقاً من هذه المعاني، يمكننا توظيف الثقافة في خدمة الأهداف والمطامح النّبيلة كالتّربية والتّنوير وتصحيح الانحراف وتوجيه السّلوك الإنسانيّ وترسيخ الفضائل وتنشئة الأجيال وتهذيب النّفوس وترقية المجتمع... لذلك يقول سعاده إن "قصد الثّقافة أو التّربية هو دائماً تقويم الاعوجاج وتوجيه قوى الحياة نحو الأفضل."[15]

الثقافة، إذاً، هي فعل إنساني حضاري يبني النفوس ويصقلها وعياً وتهذيباً ومناقب ويحقق "تأليف القلوب وجمع فئات الأمة في مطلب واحد وعقيدة واحدة."[16] وهي فعل تغييري غايته سحق المثالب الانحطاطية وإحياء المناقب الجميلة في حياتنا وتجويد هذه الحياة وتنزيهها من كل معطّلات نموها وتطورها.

في هذه المرحلة المصيرية يجب أن تتضاعف مسؤوليتنا لأن نكون فاعلين ومؤثرين في مجتمعنا لا متفرجين ومتخلّين عن دورنا في توعية الناس وتنويرهم وانقاذهم من الرذائل والأحقاد والعصبيات الدينية المتنافرة ورفعهم إلى منزلة ثقافية سامية. ثقافتنا واسعة وإنسانية وعصرية وتحتوي على تراث كبير من العلوم والمعارف والفنون والآداب والشرائع والمنجزات الحضارية. هي ثقافة الحقيقة الواضحة والمعرفة العلمية والتاريخ الصحيح الغني بالمآثر.. ثقافة عريقة تعود بروحها ومفاهيمها وقيمها

[11] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن 1948 – 1949، ملحق رقم 2 خطاب الزعيم في بشامون 1948/10/3.
[12] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن 1948 – 1949، ملحق رقم 5، خطاب الزعيم في دده الكورة، 1948/10/17
[13] أنطون سعاده، المحاضرات العشر، ص 22.
[14] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن 1948 – 1949، المثالية الأولى (بقلم هاني بعل)
[15] أنطون سعاده، الإسلام في رسالتيه، الطبعة الرابعة 1977، ص 73.
[16] أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد السادس 1942-1943، "خطاب الزعيم في العيد القومي".

وأخلاقها إلى ذات الأمة وخطها الروحي – الثقافي الإبداعي.

يجب علينا أن ننخرط في معركة الوعي والتربية والتثقيف لنقضي على الجهل والانحطاط والرقاد والموت وأن نُعمّم ثقافة الحياة الصّحيحة التي تحرّك العقول وتفجّر الطّاقة الخلّاقة في مجتمعنا وتؤهّله وتعدّه لمواجهة الأخطار بخطّة نظاميّة عقلانيّة تحيي حقيقتنا التّاريخيّة وتراثنا الإبداعيّ وتعمل لوحدة المجتمع ورقيّه...

يجب علينا أن نلهج بثقافة مبادئنا وقيمها السامية ونغرس تعاليمها الجديدة في النفوس لتنبت حباً عظيماً للأرض وللمجتمع، لأنه بدون الحب والولاء للمجتمع وبدون التفكير بخيره ومصالحه لا ترتقي الحياة الاجتماعية ولا ينعم المجتمع بأكمله بالحياة الراقية الجميلة.

مسؤوليتنا القومية والأخلاقية تحتم علينا أن نكون، كما وصفنا سعاده، "القوة المهاجمة لا المدافعة" وأن ننخرط في معركة تحرير المجتمع من كل المفاسد والمثالب والأمراض والعوامل التي تعرقل نموه وتقدمه.. وهل يمكننا أن نحقق هذا الهدف

بدون خطاب العقل المتحرّر من رواسب الماضي وبدون الفعل الثقافي المبدع المعبّر عن نفوسنا الجميلة والهادف إلى إظهار قيم مجتمعنا الجميلة ومثله العليا؟

نحن مدعوون للفعل الثقافي الهادف للانتقال من زمن عتيق يُمَثّل الانحطاط والخمول إلى زمن جديد يُمَثّل النهوض والسير إلى الأمام نحو مثل عليا جديدة، ومن حالة حياة قديمة واهنة إلى حالة حياة جديدة قوية: حالة في جوهرها هي انعتاق من اليأس والتفاهة والخمول إلى الإيمان والتفاؤل والأمل بالمستقبل والتطلع إلى الطموحات والأحلام الكبيرة.

الثقافة النظرية والثقافة العملية

الأمين وليد زيتوني*

لعبت الثقافة في الحزب السوري القومي الاجتماعي دوراً اساسياً ومحورياً بتشكيل الوعي والإرادة الذاتيين للدفاع عن قضايا الأمة وديمومة واستمرار النهضة فاعلة في وجدان شعبنا. فالثقافة في حزبنا هي الأرضية الواسعة، الشاسعة التي اشاد عليها سعاده بنائه الاجتماعي الجديد وتوَّجها بنظام إداري حديث ومتكامل. ألم يقل: ان وضعي للدستور هو أهم أعمالي بعد وضعي للعقيدة القومية الاجتماعية؟

نعم، ولكن هل استوى جميع المنضوين الى الحزب على نفس السوية الثقافية؟ وهل من الممكن تحقيق ذلك؟ وبالتالي الوصول الى حالة نخبوية بالمعنى الفكري؟ وهل هذا مطلوب عملياً لتحقيق الانتصار؟ قطعاً الجواب لا. فالنهضة واستدراكاً الحزب بحاجة الى كل أفراد المجتمع، كلٌ من موقعه وقدراته شرط ايمانه بالقضية الأساس وهي وحدة وسيادة الأمة على نفسها واستطراداً تقدمها ورقيها والعمل على رفاهية شعبها عبر حياة عادلة وكريمة.

لقد عانى الحزب تاريخياً من هذه المسالة خاصة في أزمنة الحروب، حيث أدى سلوك الحزب الإيجابي أخلاقياً، ووقوفه بعيداً عن الصراعات الطائفية لإقبال تراكمي الى صفوفه أدت فيما أدت اليه لخلل في بنيته التنظيمية العقائدية. فأصبح الحزب يتكون من ثلاث مجموعات ليس بالمعنى التنظيمي بل بالمعنى الثقافي. فهناك المثقف الأكاديمي وهو القابض على مفاصل العقيدة بشكل منهجي، وهناك المثقف العضوي [التعبير لغرامشي] وهو العضو الذي اكتسب العقيدة بالممارسة والخبرة في العمل الحزبي وتراكم المعرفة بالاتصال الدائم بالمثقف الأكاديمي. وهناك العضو الذي انتمى بدوافع متعددة وبقي هامشياً في الإطار الثقافي.

لقد تنبهت القيادة سابقاً، أكثر من مرة لهذه المعضلة وعملت على تصحيحها، وتحديداً اثناء الحرب الأهلية في الكيان اللبناني وكذلك فترة انخراط الحزب في المقاومة ضد العدو الذي اجتاح هذا الكيان. فوضعت جهداً لتحقيق "نظرية عسكرة الحزب وعقدنة العسكر" عبر اصدار كتيبات ومنشورات تعالج هذه الظاهرة غير ان اشتداد المعارك وتوزع القوى على محاور القتال ولا مركزية القيادة، لم تؤد الى النتائج المرجوة. ولعل هذه الآفة، اي الإنتماء التراكمي، أضعف الحزب في مفاصل متعددة من سيرورته وسمح لعدد من الإنتهازيين والنفعيين والأنانيين من التسرّب الى صفوفه مما قلَّص من قدراته بالإضافة الى عوامل اخرى ذاتية وموضوعية.

وربما نستطيع القول ان اعتماد نظرية "عسكرة الحزب وعقدنة العسكر" قد تفيد في مرحلة معينة وضمن ظروف تتيح هذه المعالجة شرط خلق التوازن العملي المطلوب داخلياً لتحقيق الأهداف الكبرى المرسومة تبعاً لمجريات الأحداث وبوصلة العقيدة. فالتوازن العملي بهذا المعنى يتطلب بالإضافة الى التنشئة المتدرجة ثقافيا وفكريا تعزيز المناقب بالقدوة الأخلاقية واخضاع المقبل على الدعوة الى مواكبة دائمة وحثيثة

مستندة الى أساليب جديدة ووسائل حديثة في التربية القومية الاجتماعية. فما كان صحيحاً وضرورياً في مراحل سابقة ليس بالضرورة ان يكون ناجعاً في المرحلة الحالية او المراحل اللاحقة. وهذا لا يتم عملياً إلا بعد القيام بدراسات تحلل البيئة الاجتماعية للبحث عن حلول جاذبة حسب الفئات العمرية المستهدفة لتحقيق مشروع التنمية البشرية في الحزب. إن الاكتفاء بالعموميات الثقافية تعجز عن تكوين مثقف أكاديمي قادر على الاشعاع ضمن المحيط المطلوب، كما انها تقصّر عن تشكيل المثقف العضوي، تماما كالأعمال البطولية والباهرة التي تكون عاملاً جاذباً في مواقف تاريخية إلا انها تفيد التراكم العددي إذا لم تواكب بجهد إذاعي ثقافي وإعلام موجه ومدروس يخدم الهدف الأساس.

لا شك ان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي هو من أهم الوسائل المستخدمة في هذا الإطار غير انها تصبح عالة ومشكلة في حال تفلتها وخروجها عن المنهج المرسوم لها، وهذا ما يستدعي من الإخصائيين وضع ايضا الدراسات اللازمة هدفها منع التشويش العقائدي والإعلامي كما تحصينها ضد الاختراقات الممكنة من قبل العدو او المتربصين بنا. ان اعتماد المناهج العلمية الحديثة الموجهة ببوصلة العقيدة هي الطريق الأقرب لبعث النهضة السورية القومية الاجتماعية وتزخيمها وزيادة انتشارها. نحن نملك عقيدة تحاكي العصر، لكننا بحاجة الى إكثار الأعضاء الذين يحاكون العقيدة.

* الأمين وليد زيتوني عميد ركن متقاعد في الجيش اللبناني. حائز على دبلوم في العلوم السياسية. تسلّم العديد من المسؤوليات الحزبية، من بينها عميد دفاع ونائب رئيس. يشغل اليوم مسؤولية رئاسة المؤتمر القومي.

صوت سعاده

إذا استفاق معظم السوريين بسرعة لأهمية التعاليم السورية القومية الاجتماعية لحياتهم ورسالتهم إلى العالم العربي والإنسانية، وإذا قُدِّر لهذه النهضة القومية الاجتماعية النجاح السياسي السريع، فعمل سورية في إنهاض الأقطار العربية وإعدادها الثقافي سيكون عظيماً. فمهما قيل عن التقدم العلمي والأدبي والفكري في مصر، فإن مجموع العلماء والأدباء والمفكرين السوريين ونوعهم يكسبان سورية مركز الثقل في الشؤون الثقافية والعلمية بلا جدال، ونعتقد أنّ الشعب السوري سيكون جديراً بالمهمة التي وضعتها العناية على عاتقه.

أهمية الثقافة، ودور الحزب الثقافي

الرفيق ماهر يعقوب

مقدمة:

الثقافة شـــأن هام وحيوي في الحياة الانســـانية، فهي أمر انســـاني بحت، يختص به الجنس البشري دون غيره، لأنه شأن عقلي متطور مع تطوره. وهو يميز المجتمعات والأفراد عن غيرهم.

تعريف الثقافة:

تعريف عام:

هي مجموعة من المعتقدات والمعارف، والعلوم المختلفة، والسلوكيات والمفاهيم والرؤى، وكذا هي النظرة الفلســفية، والقواعد الأخلاقية التي يتصـــف بها مجتمع معين أو فرد ما، وتدخل فيها مجموعة من السـمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، كالفنون، والموسـيقى التي تشـــتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد الســـائدة، والقيم وغيرها، ويشـكل ذلك منطلقات مهمة لطريقة الحياة في ذلك المجتمع أو لدى ذاك الفرد.

التعريف حسب سعاده:

هي "مجمل العلوم والفلســـفات التي تتناول الحياة وما له علاقة بها. وما يحصـــل من ذلك من مســـتوى عقلي واتجاهات فكرية واعتقادات مناقبية وإدراك للشـــؤون النفســـية والمادية. (نشـــوء الأمم – الإثم الكنعاني)

أنواع الثقافة:

1– ثقافة المجتمعات: هي مجمل المعارف والنظرات والمفاهيم والقيم والعادات والأعراف والمعتقدات ... التي تُسبغ أو تصف مجتمع ما، وهي نتاج تفاعل أجياله عبر تشـــكّل هذا المجتمع خلال فترة مديدة من التاريخ، إذ لا تتشـــكّل من مجموع ظواهر فردية، بل إن الثقافات الفردية تنهل منها.

هذا لا يعني أن الأفراد لا يستطيعون أن يخرجوا عن ثقافة المجموع، إنما يلزمهم مواصـــفات اســـتثنائية ليبرزوا ثقافة مختلفة عن واقع مجتمعهم وعن الثقافة الرائجة فيه بفترة ما أو حقبة تاريخية ما، ليعودوا إلى مجتمعهم بمفاهيم واعتبارات ثقافية أفضـل فيقودوه باتجاه أرقى، ولدور أسمى تجاه نفسه وتجاه باقي المجتمعات.

2– ثقافة الأفراد: هي مجمل ما يوجد بالفرد من محمول ثقافي اكتسبه من مجتمعه بالاحتكاك والتناقل، وما يرده من خارج مجتمعه عبر وســـائل التواصـــل المتعددة والمتطورة والمتســـارعة مع العالم عموماً. فيخضـــع تلك الثقافات الواردة إليه للفلترة والمحاكمة العقلية

وفق مخزونه المكتسب من واقعه المجتمعي، ووفق نظرته الخاصة التي تدفع به لتطوير الواقع الثقافي في مجتمعه، وأحيانا تكون مفاهيم ثقافية مكتسبة تدفع بالحياة خلفاً، ما يؤدي إلى قهقرة المجتمعات إن تمكنت تلك الثقافة من السيطرة والانتشار فيها.

خصائص الثقافة:

- مرتبطة بالنفس البشرية، ويتميز بها الانسان عن سائر المخلوقات، لأنها تعتمد على العقل والفكر.
- من الصفات المكتسبة أي التي لا تولد مع الأفراد، بل تكتسب بالتفاعل.
- تراكمية متكاملة.
- قابلة للتجديد والتطور، وتتصف بالديناميكية والمرونة.
- من أهم مرتكزات الوعي وتَحقّقه لدى المجتمعات والأفراد.
- تميّز المجتمعات بعضها عن بعض، فهي تتعلق بالعادات والمعتقدات والتقاليد والأعراف والقيم.
- الثقافة شأن روحي لا مادي ملموس، لكنها الأساس لتطوير الواقع المادي وتعدّد وسائله وتحسين سبل ارتقاء الحياة.
- للثقافة **هوية قومية واضحة**، لأنها تحمل طابع وصفات الشعب الذي يمارسها. وهي نتاج المتحد الاجتماعي بقدر ما هي عنصر حيوي في بناء الوجدان القومي المتنامي عبر الأجيال. وفي الوقت نفسه تكون لها امتدادات عالمية، فتلتقي مع ثقافات أخرى في جوانب معينة لكنها تحافظ على تمايزها الخاص.
- الثقافة تمنح وتزيد المعرفة، والمعرفة تؤدي للقوة.

أهمية الثقافة للإنسان عموماً:

1- رفع المقدرات البشرية وصقل المهارات في تطويع البيئة والمحيط.
2- معرفة الذات والهوية الاجتماعية وتحديد الانتماء والتمايز.
3- تحسن من مقدرة الفرد على التفاهم والتفاعل والتواصل مع متحده أو مجتمعه، ومع الأفراد من مجتمعات أخرى، وكذلك تواصل المجتمعات مع بعضها بعضاً.
4- تُمكن الأفراد والمجتمعات من مواكبة كل المتغيرات التي تحدث في سياق تطوّر الموجة العلمية المتعالية، مما ترفع من إمكانية استيعاب كل المعارف العلمية الحديثة التي تكفل ارتقاء وتطوير الواقع الانساني.
5- صقل نفوس وسلوكيات الأفراد والتخلص من عادات نافرة وتبنّي أساليب اجتماعية لائقة بالتطور البشري المتنامي، ورفع شأن الأفراد وإكسابهم الودّ والاحترام في محيطهم.
6- تحتل الثقافة في فكر سعاده مكانة متقدمة جداً في تكوين الوجدان القومي الجمعي، بل هي العنصر الأكثر تأثيراً في نشوء الوعي القومي الذي يضعنا على الطريق الصحيح كي نصبح أمة واحدة حية ذات حضارة راقية.
7- الثقافة تساعد على تحديد وتوحيد منظومة القيم في المجتمعات، وهي التي تؤدي إلى تكوين رأي وموقف من القضايا عموماً. والتباين أو التنافر الثقافي في مجتمع ما يؤدي بالغالب إلى ضعفه والعكس بالعكس، وكذا فالتجانس الثقافي يحقق وحدة الاتجاه والعكس صحيح. هنا يبرز أن الثقافة ليست هي سعة الاطلاع، أو حجم القراءة والمتابعة ولملمة العناوين والمعارف، بل هي في القدرة على توظيف كل ذلك لتحديد رأي واتخاذ مواقف والتدليل على الحقائق...

العوامل المؤثرة على الثقافة:

هناك العديد من العوامل الخارجية التي تؤدي إلى التغيّر في ثقافة مجتمع ما، وهذا التغير قد يكون للأفضل (تطوير وتقدم) وقد يكون للأسوأ (تراجع وتقهقر) ومنها ما يأتي:

- الغزو الثقافي، عبر التركيز بوسائل نشر الثقافات والمفاهيم والأفكار التي تلعب دوراً هاماً في التأثير على القناعات والنظرات والاعتقادات والنظر للقيم.

- الغزو العسكري، حيث يسعى المحتل العسكري إن أمكنه ذلك من تغيير الثقافة الأصيلة والرائجة في البلد المحتل وزرع ثقافة أخرى تصبّ في مصلحة المحتل آنياً ومستقبلاً، ما قد يُفقد الأفراد ثقافتهم الأصلية، وكثيراً ما يفرض المحتل لغة معينة جديدة محل لغة السكان الأصليين في بلد معين، يسكب فيها مفاهيم ثقافية تناسبه.
- التكيف الثقافي: تحدث هذه العملية عند انتقال فرد أو مجموعة لمجتمع ذي ثقافة مختلفة عن ثقافتهم الأصلية، عندها يعتمد الفرد ثقافة المجتمع الجديد، ومثال ذلك المهاجرون الذين ينتقلون من بلدهم الأصلي ويعيشون في بلد جديد، وإن كانت المجموعات المهاجرة كبيرة قد تسعى هي لإحداث تغيير بنسبة ما في ثقافة المجتمع الذي انتقلت إليه. وكذلك نجد أن لتبدل البيئة دوراً في تكيّف الثقافات فكل شخص يعيش في مكان ما يتكيّف مع الظروف التي تحيط به ويستجيب لها، وكل شخص يطوّر من سلوكياته وعاداته للتأقلم مع المكان الذي يعيش فيه، والذي قد يكون إمّا صحراء جافة، أو مناطق شديدة البرودة، أو جبلية عالية، أو غيرها.
- التبادل الثقافي: ويحصل بين الدول وفق سياسات التعاون والتفاعل وتبادل الخبرات والمعارف، بقصد تحسين الواقع المجتمعي والرسمي فيها بغير صعيد، وكذلك لرفع الخبرات واكتساب المواهب.

الثقافة في الحزب:

الحزب تأسّس على فكرة، على عقيدة، والفكرة ارتكزت على ثقافة ومعرفة. وأن دراسة تاريخ الحزب بكامل مراحله ومفاصله، وفهم أعضائه لفكرته ومقارنتها مع المدارس الفكرية الأخرى هو شان ثقافي معرفي في الصميم.

أن عمق معرفتنا وتثقفنا بالعقيدة، وتعاليم سعاده هو الأمر الحيوي الذي يعوّل عليه في تبلّور دور كل عضو في الحزب حيال النهوض به إلى مواقع أسمى مما هو عليها في هذه المرحلة.

<<إن التثقيف بالعقيدة القومية الاجتماعية يُشكل، بالنسبة لنا، الإنجاز التمهيدي الذي يُطلقنا باتجاه نشوء ثقافة سورية جديدة. علينا أن نبدأ في مؤسساتنا الحزبية، مع القوميين الاجتماعيين والمواطنين المقربين. وعندما يتحقق الوعي العقائدي في صفوفنا، سيكون من السهل نشر الثقافة الجديدة في الأوساط السورية النابهة. وبهذه الآلية نخلق ثقافتنا التي هي ثقافة الأمة، ونتطلع إلى المستقبل من دون أن نُحدث قطيعة معرفية مع خطوط الفكر السوري الحضاري بأبعاده التاريخية.>> (أصفهاني أحمد)

دور الحزب في التثقيف المجتمعي:

غاية الحزب بعث نهضة تكفل تحقيق مبادئه، والنهضة نتاج عمل ثقافي، فكري، قناعي، توعوي، وبالتالي أولى مهام الحزب في مجتمعنا هي نشر الثقافة والوعي لتشكيل القناعة والإيمان ومعرفة الذات والهوية.

إن هذه المهمة التثقيفية لهي من أعظم المهام التي يجب أن يضطلع بها الحزب كمؤسسات وأعضاء. فالنهوض المجتمعي طريقه الحصري الوحيد هو الثقافة الصحيحة، ولا تتوفر هذه الثقافة الحقيقة إلا في فكرنا ومبادئنا.

هذه ليست نظرة شوفينية تجاه الأفكار الأخرى إنما هو انطلاق من أن فكرنا ونهضتنا يشملان الحقيقة السورية بكامل أبعادها ومنها البعد الثقافي، وتعبّر عن مصلحة الأمة في الوحدة والاستقلال والارتقاء، فكل ما يتلاقى مع فكرنا من الجوانب المعرفية والثقافية لدى الغير في مجتمعنا أو خارجه، كان هذا الغير على جانب معرفي ثقافي سليم، والعكس بالعكس.

<<لقد بلغ الواقع الثقافي الراهن في سورية درجة خطيرة من الانحدار والتشتت. ونحن لا نخجل من الاعتراف بأن عوارض هذه "الثقافة السلبية" أصابت بعض القوميين الاجتماعيين، وإن بشكل محدود. إن هذه الوضعية السيئة هي نتاج متوقع للتدهور الحاصل على كل

المستويات في الوطن السوري. إلا أنها لم تصل بعد إلى نقطة اللاعودة، فما زلنا قادرين على التصدي لكل النزعات الهادفة إلى تدمير ثقافتنا القومية اعتماداً على ما نملك من وعي عقائدي وموروث حضاري تاريخي وخبرات راكمها القوميون منذ 1932 وحتى اليوم.>> (أصفهاني أحمد)

خاتمة:

مما استعرضته وبعجالة، تظهر لنا الثقافة المجتمعية والفردية بارزة الأهمية فهي ما تميز المجتمعات وأن لم تلعب دوراً في تشكّلها، إلا أنها بالغة الأهمية في معرفة المجتمعات لحقيقتها ومزاياها، ولكيفية تحقيق مصالحها في الوحدة والسيادة والارتقاء.

كذلك هي بالنسبة للأفراد، فهي التي تجيبهم على السؤال من نحن؟ وتسدّد كل متطلباتهم الحيوية، وتمكن عقلهم ليكون شرعهم الأعلى في محاكمة المسائل والقضايا المرتبطة بهم وبمعنى وجودهم.

من هنا إن كنا حقيقة نعمل لقضية عاهدنا أنفسنا على نصرتها، وعقدنا العزم لإقامة النهضة السورية القومية الاجتماعية في مجتمعنا فالخطوة الأولى باتجاه ذلك هي التثقف العميق بعقيدتنا وربطها بتراث أمتنا الثقافي، ووضع الوسائل الفردية والمؤسساتية الكفيلة بتحقيق هذه الغاية.

صوت سعاده

الحقيقة أنّ طبيعة الثّقافة عامّة كطبيعة الدّين. وإنّما قد مرّ على العالم أدوار ثقافيّة سمّي كلّ دور منها باسم الشّعب الّذي قام به أو اللّغة الّتي كانت واسطته. فإذا تكلّمنا عن الثّقافة السّوريّة عنينا بها الدّور الذّي قام به السّوريون في ترقية الثّقافة العامّة وهو دور الجمع بين الزّرع والغرس وسلك البحار والتّجارة وإنشاء الحروف الهجائيّة والدّولة المدنيّة وخصوصاً العناصر الأربعة الأخيرة، كما تقدّم معنا آنفاً. وإذا تكلّمنا عن الثّقافة الإغريقيّة عنينا بها الفلسفة والفنّ اللّذين أنشأهما الإغريق وأعطوهما للعالم. وإذا تكلّمنا عن الثّقافة العربيّة عنينا بها ترقية العلوم التي اشتركت فيها العناصر الداخلة في نطاق اللغة العربية، كالحساب والهندسة والطّبّ والكيمياء. وإذا تكلمنا عن الثقافة العصريّة عنينا بها الدّور الأخير الّذي تشترك فيه الأمم المتمدّنة واللّغات الحيّة كلّها مع الاحتفاظ بالألوان أو الصبغات القومية لبعض نواحي الثّقافة.

إذن، ليست الثّقافة شيئاً خاصّاً، بل شيئاً عامّاً يتفاوت في الدّرجات بين الأقوام. فالسّوريّون والإنقليز والألمان والفرنسيّون والمصريّون وجميع الأقوام المتمدّنة يشتركون في ثقافة واحدة عامّة دورها هو الدّور العصريّ. ولكنّ كلّ أمّة من هذه الأمم تحتفظ لنفسها بأسلوبها الأدبيّ أو الفنيّ الخاصّ في ما تعطيه لهذه الثّقافة. ويجوز أن يكون لكلّ أمّة بعض مظاهر ثقافيّة خاصّة.

الثقافة مدماكٌ أساسيّ في النهضة القومية

بقلم الرفيق الدكتور محمود شريح

أدركَ سعاده منذ بداية تأسيسه الحزب السوري القومي الاجتماعي الحاجةَ إلى إرساء فكر فلسفيّ، و ما تشعّبَ عنه من ثقافة أدبيّة، شعراً و نثراً، فأشاده على قاعدة مَدرحيّة، تأخذُ بخصائص النفسيّة السوريّة كما ترسمه أساطيرها، فجاء بنظرة جديدة الى الحياة والكون والفنّ تزيل الطبقات التي تراكمت عليها ودفنتها، داعياً الى العودة الى الجذور وردّ اعتبار إلى الأصالة، فألحّ على توظيف اسطورة تمّوز [أدونيس] ففتحَ سعاده باباً جديداً في القول الشِّعري، لا سيّما تحت خانة ما اصطُلح على تسميته "الشّعر التمّوزي"، وأعلن انه حيث لا فكر ولا شعور جديدين في السياسة لا توجد سياسة جديدة ولا نهضة سياسيّة، وكذلك في الأدب، فحيث لا فكر ولا شعور جديدين في الحياة لا يمكن أن تقومَ نهضةٌ أدبيّة أو فنيّة. بهذا المنطق المدرحي القائم على جَدليّة حدَّاها النفسيّة وسياق الحياة اختصر سعاده انّ القوميّة هي الروحيّة الواحدة أو الشعور الواحد المُنبثق من الأُمّة، من وحدة الحياة في مجرى الزمان، فهي عوامل نفسيّة مُنبثقة من روابط الحياة الموروثة والمعهودة. هذه الثروة النفسيّة التي رأى فيها سعاده إحدى الخصائص القوميّة هي حصيلة تفاعل ينشأ عنه الإتحاد في الحياة، بمعنى أن حياةً واحدة تجري في مفاصل الأُمة، حياة واحدة ذات دورة اجتماعية اقتصادية واحدة، إذ رأى سعاده بيقين أنّ الأُمّةَ أساسٌ ماديّ يقوم عليه بناءٌ روحي، فلا غنى عن الفلسفة الماديّة متشابكة أواصرها بالفلسفة الروحيّة.

جاء كتابُ سعاده **نشوء الأُمم** إثر تجربته الروائية في **فاجعة حب** و**عيد سيّدة صيدنايا**، متأثّراً بجبران، رأس الحداثة في الشرق بلا منازع، فاتحةَ علم الاجتماع في بلاد الشّام، إذ منحَ المتّحدَ تفسيراً فلسفيّاً ثقافياً تاريخيّاً، ثم أعقبه من الأرجنتين بأثره النفيس **الصراع الفكري في الأدب السوري** و**الإسلام في رسالتيه: المسيحيّة والمحمديّة**، فمهّد في هذه الكتب الثلاثة مجتمعةً لقيام أدب ونقد نهضويْن تجسّدا في حركة مجلّة **شعر** مع يوسف الخال وأدونيس ونذير العظمة، في البدء، ثم مع من حذا حذوهم [فؤاد رفقة، أسعد رزّوق وبدر شاكر السيّاب وشوقي أبي شفرا وأُنسي الحاج وعصام محفوظ]، فيما بقي خليل حاوي مدرسة مستقلّة قائمة برأسها، وعمد سعيد تقي الدين إلى بثِّ أدب جديد متّصل وثيقاً بنظرة سعاده إلى الحياة.

منذ انشائه "الندوة الثقافية" في منتصف الثلاثينات وحتى عودته من الأرجنتين في الثاني من آذار 1947 وإلى شهادته في الثامن من تمّوز 1949 كانت الثقافة مرتكزَ سعاده الى إحداث نهضة قوميّة لها مدلولٌ واضح هو الخروج من التفسّخ الروحي إلى الوضوح في الأهداف الاجتماعية، لإيمانه بأنّ الحربَ بين النهضة القوميّة وأعدائها لا بدّ أن تشمل الأدب من منطلق نسخ الخصوصيّة الرجعيّة في الأدب، فلم يفصل سعاده بين نهضة أدبيّة ونهضة

فكريّة، فكلاهما رهنٌ بحدوث نظرة فلسفية سورية قومية اجتماعية، ذلك ان الأدب والفنّ لا يمكن أن يتغيّرا او يتجدّدا إلّا بنشوء نظرة فلسفيّة جديدة يتناولان قضاياها الكبرى، أي قضايا الحياة والكون والفنّ التي تشتمل عليها هذه النظرة، بمعنى أنّ الارتباط الأدبي والسياسي بالنهضوي وثيق، أي أنّ الأدب لهو الواسطة المُثلى لنقل الفكر والشعور الجديدين، الصادريْن عن النظرة الجديدة، الى إحساس المجموع وادراكه الى سمع العالَم وبصره فيصير أدباً قوميّاً، فيحمل في الوقت عينه ثروة نفسيّة أصليّة في الفكر والشعور، أي أنّ الإتحاد في الحياة أساسُ كلّ بعث وإصلاح وتجددّ في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والأدب، فخلاصُ الأُمّة كامنٌ في وعيها الاجتماعي.

على هذا النحو إذاً الثقافة في عُرف سعاده تراكمٌ معرفيّ ومدماكٌ أساسيّ في النهضة القوميّة، وليست كلاماً مُبعثراً على مختلف المدارس الفكريّة بدون أن يكون هناك رأيٌ وموقفٌ واضحٌ من تلك المدارس، فمحاضرة تشتمل على كل الأسُس في الحركة القوميّة الاجتماعية لا تعطي النتيجة الثقافية المطلوبة، لأنّ الثقافة عمل طويل لا يمكن أن يتمّ برسالة واحدة أو كتاب واحد فالمبادئ هي مكتنزات الفكر والقوى وقواعد انطلاق الفكر في اتجاه واضح، وفيها تتجلّى حيوية الأُمّة وحاجاتها الأساسية، ذلك أنه تحت عوامل مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي تسير عملية تحرير من عقائد مهترئة، باختطاط طريق نهضة قومية اجتماعية جديدة تكفل تصفية العقائد القومية وتوحيدها وتوليد العصبيّة الضرورية للتعاون القومي في سبيل التقدّم والدفاع عن الحقوق والمصلحة القومية.

صوت سعاده

أنشئت الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف سنة 1937 للأبحاث الثقافية ولِنَقْل الفكر من السطحيات ومسائل الإدراك العادي إلى الأساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي.

اشكالية الثقافة مع الأطر الحزبية

بقلم الأمين إميل عبود

ان ما دفعني الى الكتابة في الموضـــوع الثقافي أمور عديدة ولعل أهمها أزمة المثقف والفنان الملتزم مع حزبه، ومع المنظومة العامة المتحكمة بعملية الانتاج الفكري والفني. فســـعاده ركز كثيرا على الثقافة كأســـاس في عملية البناء الداخلي وكذلك في بعث روح الأمة التي تنبثق من ثقافة أعطت للبشـــرية تراثا غنيا، ومدنية شـــكّلت المداميك الأولى لمسيرة الحضارة. لهذا عمد سعاده الى تأسيس الندوة الثقافية في عام 1937 لتكن الحاضـــنة "للأبحاث ولنقل الفكر من السطحيات ومسائل الادراك العادي إلى الأساسيات في قضايا العقل العلمي والفلسفي (من رسالة سعاده الى شارل مالك 1938).

فالثقافة والفنون لم تكن عند سعاده شأنا عابرا إنما كانت من الأسس التي اعتمد عليها داخليا، وكمدماك صـــلب في حركة النهضـــة ولعل المبدأ الأساسي السابع خير دليل الذي اعتبر فيه سعاده " النهضة السورية القومية الاجتماعية تستمد روحها من مواهب الأمة وتاريخها الثقافي والسياسي القومي"، كما أفرد للجانب الأدبي والفكري سلسلة مقالات جمعت في كتاب "الصـــراع الفكري في الأدب الســـوري" ... وكذلك اعطى حيزا هاما للموســـيقى والفنون في روايته "قصـــة عيد سيدة صيدنايا".

اذن منذ ما يقارب القرن وسعاده كان تركيزه على الثقافة لأهميتها في القيادة والريادة وتصـــويب الأمور، فالندوة الثقافية تعادل اليوم بعملها مراكز الأبحاث، وكتبه تعتبر الأسس التي يمكن ان يبنى عليها لبعث نهضـــة ثقافية منبثقة من روح هذه الأمة من أجل إحياء التراث وبناء حالة فنية وابداعية هامة. وان رجعنا الى تاريخ الحزب لوجدنا هامات كبيرة ثقافية وفنية دخلت الى الحزب مثال (ادونيس، ســـعيد عقل، جورج مصـــروعة، محمد الماغوط، زكي ناصـــيف، ســـعيد مخلوف، فاتح المدرس، توفيق الباشـــا، دريد لحام، محمد شـــامل، ابو ملحم، نضـــال الأشـــقر، فايز خضـــور، يوســـف الخال.... وغيرهم وغيرهم) أغلبهم بقي سوريا قوميا ومعظمهم خرج من الأطر الحزبية ولكن لكل منهم قصة مع العمل الحزبي.. ان حللناها بروية لوجدناهم محقين... كما ان المؤسسات الحزبية هي دائما على حق.

ولكن ما نجده، من خلال مراقبتنا للحالة الثقافية داخل الحزب، انها في حالة انحدار تدريجي مع محاولات إنعاش تعتمد على القيّمين. وهذ ما يدفعنا الى طرح التساؤلات التالية:

أين نحن من الثقافة؟ ألم تعد الثقافة حاملا أســـاســـيا للأحزاب والمجتمع؟ ما أزمة الحزب مع مثقفيه؟؟ لماذا الكثير من المثقفين ابتعدوا عن أحزابهم؟ هل المشكلة في المثقف والفنان او المشكلة في الأحزاب وأنظمتها وإداراتها؟ هل نســـتطع ان نبني مشـــروع ثقافي حقيقي؟

انها أســـئلة اشـــكالية بحاجة الى حوار ونقاش بناء علنا نصـــل الى وضـــع خريطة طريق لإعادة بناء مشـــروع ثقافي فني يخدم القضـــية بكل ابعادها.. ونحن هنا لا نريد ان نبخس بما قامت وتقوم به

المؤسسات الثقافية الحزبية، رغم قلة الموارد والإمكانيات ولكن تبقى ومضات تنتهي مع انتهاء مهام المسؤول المختص المتحمس. وكذلك نتطلع الى المؤسسات الثقافية الخاصة التي يديرها او يعمل ضمنها او أسسها جمع من السوريين القوميين، ودورها الريادي في نشر الثقافة او دعم الفن، ولكن لا نجد اي علاقة او تنسيق ولو بحده الأدنى مع المؤسسات الرسمية الحزبية. وهذا ما يدفعنا الى محاولة الرد على الأسئلة الاشكالية الآنف ذكرها. لأن المشكلة الأساسية هي في الأساليب او الإستراتيجيات المتبعة في التعامل مع الشأن الثقافي وهذه وجهة نظر قابلة للنقاش ولكن ما أود ان اؤكد عليه، ما يلي:

أولاً، على صعيد الثقافة:

لم تعد الثقافة أولوية في الحزب – وهنا لا أتحدث عن مرحلة معينة، وإنما في الثلاثين سنة الأخيرة – ويظهر جليا من الموازنات المرصودة، ومن النشاطات التي ترتبط في أكثر الأحيان بالمسؤول وحيويته أكثر من المؤسسة والرؤية، حتى بتنا نعتبر ان هذه المسؤولية شرفية أكثر منها مفصلية وريادية، وهنا يكمن الضعف الحقيقي في عملية البناء ونشر الفكر، والإستفادة من الشخصيات الفنية والثقافية والإبداعية كشخصيات عامة يمكن الدخول عبرهم الى شرائح مختلفة من مجتمعنا. وهذا يعود الى تغيير في المفاهيم البنيوية للأحزاب العقائدية التي كانت تعتمد على الثقافة والحوار في عملية بناء اطرها ونشر أفكارها. لهذا نجد اننا كنا فاعلون في مرحلة السبعينات من القرن الماضي في أغلب الأندية والمنتديات الثقافية والفنية، لنتحول مع العمل العسكري عبر مسيرة تراكمية الى تراجع الحامل الثقافي كمرجعية واداة للعمل ليتقدم العمل العسكري ومخرجاته.

ثانيا: على صعيد المثقف والفنان:

ان الثقافة والفنون ترتقي ببيئة ملؤها النقد والحرية، وتضمحل بالقيود والقوانين والأطر الضيقة، والمثقف والفنان سمته الأساسية رفض الواقع والتمرد والسعي الى التغيير، ويرفض دائما القيود.. وهنا تكمن قوته... او يتحول الى موظف بلاط يخدم ويبرر بثقافته وفنه من يدعمه ويموله. والمثقف الملتزم هو يعرف جيدا الحدود الفاصلة بين قناعاته وايمانه والأمور الأخرى. وهنا لا بد من المعرفة ان لأغلب المثقفين والفنانين مزاجهم الخاص، الذي لم يراع ابدا، وفي أغلب الأحيان لم تستطع المؤسسات الحزبية ان تستوعبهم، وكم من نقاش فكري او رأي قوبل بالتخوين والبتر ان لم يعجب المسؤول... وهذا ما أبعد الكثيرين.

ثالثا: على صعيد المؤسسات الثقافية:

لا اريد ان ادخل في تفاصيل عمل المؤسسات الحزبية الثقافية واهميتها ولقد ذكرت سابقا انها مرتبطة بحيوية المسؤول دون وجود رؤية واضحة المعالم، ضمن إطار مؤسساتي له استمراريته وخططه واهدافه الواضحة. ولكن ما اريد ان أسلط الضوء عليه هو وجود مؤسسات ثقافية يديرها سوريون قوميون اجتماعيون او أصدقاء، في لبنان او الشام ... او عبر الحدود، وكل يعمل وينشط وله موقعه المرموق، ويعتبر كل منهم انه يقوم بدوره انطلاقا من ايمانه، وأغلبها مؤسسات مرموقة وناجحة.

ان اي حركة تعمل على تحقيق أهدافها، وتبقى معركتها دائما هي الوصول الى الشعب، والتأثير في حركة المجتمع وتبقى الثقافة هي من المحاور الأساسية للنهضة وحركتها، فمن الضروري اعتبارها من الأولويات، ووضع الأطر والأسس الواضحة التي يمكن ان تستفيد من المثقف والفنان ومن الأطر والمؤسسات الثقافية والفنية المختلفة، لهذا من الضروري ان تكون لدينا القناعة الكاملة بأهمية الثقافة في لعب هذا الدور. ولهذا فالمشروع الثقافي النهضوي حاجة وضرورة – وهذا ينطلق أساساً وفق ما يلي:

أ– إطلاق حوار بناء، يبدأ أولاً داخل المؤسسات الحزبية من أجل وضع آليات عمل مرنة مع الفنانين والمثقفين والمؤسسات التابعة او

الخاصـــة التي يمكن التعامل معها، بحيث تكون ثابتة وبعيدة عن مزاجية وآراء المسؤول المختص.

ب – وضـع خطة للحوار مع المثقفين والفنانين، آخذة بعين الاعتبار المزاج الخاص لأغلبهم، وضـــرورة العمل على توظيفه بأســـاليب مختلفة ويمكن ان تكون بعيدة عن الأســـاليب الحزبية التقليدية اي العمل على خلق أطر مرنة، قادرة على ايجاد المساحات التي تسمح للمثقف والفنان ان يعمل ضمنها، وتحميه من سياسة التخوين والبتر مع اي فكرة جديدة او رأي مخالف، اذ يبقى الحكم عليه من روح النهضة وليس من الأنظمة والقوانين المعمول بها ... وهذه المساحات يجب ان تكون داخل المجتمع حتى لا ينحصـــر تأثيرها في الأطر الحزبية فقط وانما لتشـــكل حركة فاعلة في المجتمع بشـــكل عام. ويمكن ان تكون هذه الأطر ثقافية اختصاصية جامعة على مستوى متحد او أكبر لتشـــكل حركة فعلية بين الشـــباب مســـتفيدة من الامكانيات الثقافية والفنية، مشـــكّلة حالة ابداعية، يكون لها دور التوجيه البعيد. وهكذا يمكن ان نفّعل دور مثقفينا وفنانينا ضـــمن مشروع له رؤية وأهداف محدّدة، وآليات عمل واضحة الأدوار سواء لجهة التنسـيق والفعل والدور الذي يمكن ان يقوم به المثقف ضـمن هذه المؤسسات والأطر وانعكاسها على المجتمع.

ج – اقامة استراتيجية واضحة للتعامل مع المؤسسات الثقافية التي يديرها قوميون او أصـــدقاء، والعمل على كيفية التنســيق بينها، من أجل مشاريع مشتركة. فمن الضروري ان يكون دور للمؤسسة الحزبية ان تتواصـــل أولاً مع هذه الأطر، وتعمل على التنســـيق وربطها ببعضـــها البعض، ويمكن ان تتوســع لتشـمل إطارا أوســعا في هذا المجال، علّ هذه المؤسسات تقوم بالدور المطلوب من الادارة الثقافية الحزبية من أجل تشـكيل إطار يجمع المثقفين والفنانين في مشـروع نهضوي.

د – ان الفن هو ثقافة في المعيار الأساسي ولكنه صناعة في مكان اخر وتجارة يمكن ان تدعم الفنان والمؤسـسـة الخاصـة والمؤسـسـة الحزبية، ولكل منهم دور في هذا المجال، ودور المؤســســة الحزبية هي ربط الفنان (التشـكيلي او النحات ...) بالمقتني او بإيجاد سـوق فني عبر الحدود مما يعمل على نشـر تراثنا ويؤمن للفنان اسـتمرارية عمله وللمؤسسة موردا ماليا. وفي مكان اخر مع المحتوى وصناعته سواء في المسلسلات او الأفلام وحتى الفيديوهات، يمكن العمل على انتاج فني كبير من خلال التنسيق بين مكونات كل عناصـر الانتاج من سيناريست والمخرج والمنتج وهي موجودة بيننا، واعتقد انه يمكن ان نسـوق أفكارنا عبر هذه الأعمال وتدخل الى الوجدان الاجتماعي بشكل سريع. هذا الموضوع يمكن ان تضـع خطة له ويسير بشكل تدريجي.

في الختام، ان العرض الآنف ذكره، هو وليد قراءة لتجربة شـخصـية عملت من خلالها مع شريحة من المبدعين، سواء عبر جمعية ثقافية او كاليري فني، من رفقاء وأصـدقاء، أغلبهم أسـماء معروفة ومرموقة في مجال الفن التشـكيلي والنحت... ولكنهم عاشـوا المشـاكل التي ذكرناها ســابقا... لهذا أعود لأوكد أن أغلب مثقفينا ما زالوا قوميين، وأكثرهم خارج الإطار الحزبي... فان وجد المشـــروع والقرار نجد معظمهم نواة للعمل وجنودا لإنجاحه.

الثقافة كأساس في بناء الوعي وتشكيل الهوية...

بقلم الأمين الدكتور زهير فياض

1- تمهيد

لا بد في البدء، من طرح الاشكالية المتعلقة بالثقافة على مستوى الماهية والدور، أي على مستوى الفعالية في احداث التغيير المنشود في الذهنية وطرائق التفكير، وبالتالي نقل المجتمع من وضعية الى وضعية أخرى في مستويات الحياة ومؤشراتها وخصائصها المتعددة الجوانب، اذ أنه بات واضحاً أن نقلات الشعوب والأمم التاريخية تتطلب مثل هذا التحول في العقل والمقاربات لإشكاليات الواقع السياسي الاجتماعي التاريخي.

والسؤال الأساسي المطروح يتناول الثقافة من زاوية الماهية والدور؟ هل الثقافة انعكاس للواقع؟ هل هي نتاج أزمات الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؟ هل ترتبط الثقافة موضوعياً ببنية المجتمع وتصبح صورة طبق الأصل عنها؟ أم للثقافة دور متقدم يتجاوز ما هو قائم الى ما يجب أن يكون؟ هل للثقافة دور في تحفيز العقل على الفعل ومقاربة الاشكاليات وبالتالي وضع الحلول لها؟ هي أسئلة تمتلك مشروعيتها في الزمان والمكان، وهذه الأسئلة تشكل الأساس للفعل في مسيرة تشكيل الوعي التغييري على مستوى المجتمع في كل مرحلة من مراحل كينونته باتجاه صيرورته المستقبلية.

2- الهوية والثقافة

يكتسب موضوع الهوية أهمية خاصة في فهم العالم المركب الذي ننتمي اليه بكل مكوناته وتشعباته وتفرعاته بدءاً من الفرد وصولاً الى المجتمع القومي وانتهاءً بالعالم الأوسع الذي يشكل الفضاء الرحب للإنسانية جمعاء.

يكتسب سؤال الهوية مشروعية استثنائية في عالم التحولات الكبرى والمتغيرات المتسارعة، والتحديات الهائلة التي تفترض تموضعاً للذاتية الاجتماعية في مواقع الفعل والمبادرة على كل المستويات، ويبدو واضحاً أن سؤال الهوية هو نقطة الانطلاق الواقعية لتحديد الدور والوظيفة للبنى الاجتماعية بمستوياتها المختلفة.

لذلك إذا اعتمدنا المفهوم اللغوي لكلمة "الهوية"، أو استندنا الى المفهوم الفلسفي الحديث، فان المعنى العام للكلمة لا يتغير، وهو يشمل الامتياز عن الغير، والمطابقة للذات.

وهذا الامتياز عن الغير يطرح اشكالية أخرى تتعلق بالخصوصية أي خصوصية الذات في مقارنتها مع "الذوات الأخرى".

فاذا كان الموضوع فرداً، أضحت هويته مرتبطة بالخصائص والمميزات التي تميزه عن غيره من الأفراد، وإذا كان الموضوع "المجتمع القومي" ارتبطت الهوية بخصائص "الجماعة القومية" وميزاتها في مقابل خصائص وميزات الجماعات القومية الأخرى.

وهذه الخصائص والمميزات سواء على مستوى الفرد أو الجماعة هي في الأغلب ميزات ثقافية تعطي لها مضموناً ومحتوى.

والخلاصة المستقاة، تتمثل في أن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم هي "القدر الثابت والجوهري والمشترك من سمات عامة وخاصة، تميز على أساسها حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات.

اذاً، سؤال الهوية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقدرة على الحراك الثقافي الاجتماعي العلمي المعرفي والسياسي والحضاري، لذا لا بد من خوض غمار عملية معقدة ومركبة لإعادة صياغة "الهوية" وتجميع أجزاء الصورة التي تشكلها، واستحضار كل العوامل التي تساهم في بلورتها، واستعادة كل مكوناتها ومسار تكونها في التاريخ والبيئة، أي في إطار الزمان والمكان.

يأخذنا سؤال "الهوية" الى سؤال من نوع أخر حول محددات الإطار الذي تنتمي اليه الهوية بأبعادها المختلفة، فالهوية بما تشتمل على خصائص ومميزات وسمات هي صفة تتبع "الموصوف"، لذا من الأهمية بمكان تحديد هذا الموصوف باعتباره الطرف الذي تتمحور حوله كل أسئلة الانتماء والفعل النهضوي والحضاري.

هذا الإطار هو "الإطار القومي" انطلاقاً من أن العالم الذي ننتمي اليه هو عالم يتكون من أمم ومجتمعات قومية انسانية حضارية تتفاعل في ما بينها وتصوغ في سياق عملية تفاعلها السلبي والايجابي "التاريخ الانساني" برمته.

وهذا ما يقود الى بحث العلاقة بين "الهوية" و "الفكر القومي" بأبعادها وتشعباتها وتعقيداتها وتفاعلاتها.

3- الفكر القومي والهوية

ما نحتاج اليه فعلاً هو تبسيط الفكر القومي واعطائه بعداً حياتياً يتقاطع مع مصالح الناس وفهمهم لأمور حياتهم على مختلف المستويات. فالفكر التجريدي النظري على أهميته لا بد أن يتقاطع مع افهام الناس ومدى استيعابهم للنظرة القومية بكل ما تطرحه من مفاهيم حول معنى التاريخ الواحد والمصير الواحد والمستقبل الواحد على خلفية وحدة الحياة الطبيعية التي تجمع الجماعة القومية الواحدة على الأرض الواحدة والبيئة الطبيعية الواحدة ومغزى الدورة الاقتصادية الاجتماعية الواحدة ونتائجها المباشرة وغير المباشرة على الواقع الاقتصادي وعلى آفاق التنمية الاقتصادية الاجتماعية الشاملة.

لقد مر وقت طويل في بلادنا ونحن نخوض في ما بيننا صراعات وجدالات عقيمة حول معنى الأمة ومفهوم المجتمع وعلاقته بالقيم والدين والأخلاق والسلوك، فيما حقائق الحياة الواحدة بكل تجلياتها كانت تسبق وعينا لها، فالدورة الاقتصادية التي تجري في دول المشرق العربي كانت تسبق الوعي بحقيقة وجودها، فحركة البضائع والمنتجات والسكان والتبادل الاقتصادي والثقافي والمعرفي لم تنتظر توضح المفاهيم والرؤى والنظرات بل كانت واقعاً تعيشه الأمة مع مفارقة أنها اما تنكره أو لا تعقله في وعيها الباطني، وهذه مفارقة مذهلة ينبغي التدقيق فيها ودرسها من كل الجوانب لاستخلاص العبر والدروس المستقاة منها.

وهذا يطرح أسئلة تحاكي العقل في الاجابة عليها، اذ كيف لجماعة بشرية أن تحيا فعلاً لا قولاً، حياةً موحدة المصالح موحدة المصير، فيما أطيافها لا تلمس هذا الواقع، لا بل تبذل جهوداً مضنية في بعض الأحيان في سبيل انكار الحقائق المتصلة بها، ورفضها وتسفيه كل المنطق الذي يستند الى وقائعها المادية المتجسدة في سلوكيات الناس وحركتهم وحياتهم اليومية.

وهنا يبرز سؤال الهوية باعتباره المنطلق للبحث والتمحيص واكتشاف الحقائق التي يختزنها كل التاريخ الحي لهذه الأمة التي مرت بظروف تاريخية صعبة وقاهرة أدت الى كل هذا التصدع في المشهدية العامة

للهوية والانتماء وحقائق الحياة الواحدة، بيد أن السبيل الوحيد هو في إطلاق حركة عقلانية شاملة تقارب الحاضر والمستقبل وفق منهجية جديدة لا تسقط فيها أي عامل مساعد على اعادة تركيب أجزاء الصورة، ليكتمل المشهد القومي التاريخي الذي يشكل القاعدة الأساس للانطلاق باتجاه المستقبل.

لأنه لا حاضر دون ماضي، ولا مستقبل دون حاضر، ولا بد بالنهاية من اكتمال الحلقات وتسلسلها لننطلق في مشوار البناء ومسيرة التحرر والتنمية الحقيقية وعلى كل الصعد.

4- بالثقافة نبني

عندما نولي الثقافة أهمية خاصة ونوحد نظرتنا الى كل المسائل المتعلقة بمنظومة التربية في بلادنا من النظرة الى الذات، الى حل اشكالية العلاقة بين الفرد ومجتمعه، بين الفرد ودولته، بالطبع بعد تحديد ماهية الدولة ودورها مروراً بالمسائل المتعلقة بتحديد الهوية والانتماء بعد توحيد مناهجنا في التربية والتعليم وكتابة التاريخ الواحد للأمة الواحدة، عندها فقط نكون قد وضعنا أنفسنا ومجتمعنا وشعبنا وبلادنا على سكة النمو الحقيقي والتقدم والرفعة وتحقيق الذات ونكون قد خطونا الخطوات الأولى الأساسية للارتقاء الى مصاف الأمم الراقية والمتقدمة روحياً ومادياً وثقافياً .

وبالمقارنة والتحليل، نفهم لماذا ما زلنا نتخبط في هذا الدرك من التخلف وعدم القدرة على مجاراة العالم في الاكتشافات العلمية والحضارية اذ أنه عندما يكون العقل أسير واقع اجتماعي مفكك يخوض صراعاته الداخلية الغير مجدية، وعندما يكون هذا العقل منشغلاً في حل مسائل وجودية وطنية وقومية وانسانية بديهية فهو حتما لن يتفرغ ولن يكون بمقدوره التصدي لتحديات العصرنة.

5- الثقافة والنهضة

ان مفهوم النهضة يتأسس على هذا الوعي الجديد الذي يحمله الانسان الجديد، وهذا الوعي الجديد يعيد صياغة أفكار وثقافات وقيم وأخلاق وأنماط سلوك وأساليب حياة تنسجم مع مضامين النهضة وأهدافها الكبرى.

عندما يرتبط مفهوم النهضة بوعي الانسان الجديد لحقيقتها واستهدافاتها القريبة والبعيدة، ومضامينها العميقة تبرز فوراً اشكالية جديدة تتناول كيفية وطريقة وأسلوب اعادة صياغة هذا الوعي الجديد وتجسيده في حركة الواقع الاجتماعي، وهنا تبرز مرة أخرى اشكالية الثقافة بكل أبعادها وتأثيراتها الحاسمة في تحديد مدى نجاح الفعل النهضوي أو قصوره وارتداده.

ان النهضة الشاملة التي نتوخاها هي ثورة ثقافية في الأصل، وتربوية في الأبعاد والمضامين.

والثقافة بهذا المعنى سلاح ذو حدين.

فإما تكون في حالة النهضة محركاً ودافعاً للأمة والمجتمع نحو التقدم والرفعة والبناء.

واما تكون ذلك الخاضع المستكين لأهواء من يقبض على السلطة.

6- الخلاصة

الثقافة بحكم طبيعتها منظومة غاية في التعقيد، سواء بسبب علاقتها المتشابكة مع ما بخارجها من منظومات اجتماعية أخرى، أو بسبب تداخلها مع عناصر أخرى.

الثقافة بهذا المعنى، هي حمل ثقيل ينوء به كاهلنا، ولكن، عليها يرتكز وعينا، وبالوعي نبني الارادة مدماكاً وراء مدماك، وبكل هذه الصفات والعوامل نتقدم نحو المستقبل.

ثقافة الحياة

بقلم الرفيق مكرم العريضي*

لم تنشـــأ العقيدة القومية الاجتماعية، إلاّ لتكون مُنطلقاً نحو ثقافةٍ ســـوريةٍ جديدةٍ، تختلف وتخالف العتيق الرثِ اللامتحرك. لذا كانت نهضةً في مواجهة كل ثقافةٍ مضادةٍ، دمّرت – بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر – البنية الفكرية للمجتمع السوري، وهددت وجوده.

تلك عوامل الرجعية والتفسّـخ المجتمعي من طائفيةٍ ومذهبيةٍ وتخلّفٍ متعدد الأوجه والمضـــامين، ناهيك عن الارتهان للأجنبي والعمالة لصـالحه، ما سـاهم في إضـعاف الأمة وجعلها في موضـع المُتلقي للنكبات والمصـــائب، من طمسٍ للهوية وتزويرٍ لحقائق تاريخها واســتلابٍ لإرثها الانســاني العظيم، الضــارب في القِدم منذ نشــأة الانسانية.

وفي هذه الإضـاءة شـديدة الاقتضـاب، نقرأ في سـعاده الحياة الثقافية للأمة، ماديةً وروحيةً متجانسـةً، آثر تفصـيلها بتعيين العالم المُدرك، فيقول "أما المظاهر الثقافية العمومية، فتشـمل جميع ما ذكر من لغة ودين وعادات وتقاليد وتاريخ وأدب، وهي كلها من مظاهر المُتحد الاجتماعي الأتم الذي هو الأمة."[1] مشـــيراً الى ما هو أدقُّ من تلك المظاهر، في معرض تحديده للثقافة أو وحدة الثقافة "والثقافة هنا بمعنى culture وهي مجمل العلوم والفلسفات التي تتناول الحياة وما له علاقةٌ بها، وما يحصـــلُ من ذلك من مســـتوىً عقلي واتجاهاتٍ فكريةٍ واعتقاداتٍ مناقبيةٍ وإدراكٍ للشؤون النفسية والمادية."[2]

ثم يُسهب في الإيضـاح، ليفصّـل لنا، بين بين المظهر العام والجوهر الخاص والرؤية الأشمل، فصـفات الأمة وميزاتها "تابعةٌ لمبدأ الاتحاد في الحياة الذي منه تنشـــأ التقاليد والعادات واللغة والأدب والدين والتاريخ"[3]، بل إن الثقافة ليست شيئاً خاصـاً " بل شيئاً عاماً يتفاوت بين الأقوام"[4] وبـأن الحقيقـة " أن طبيعـة الثقـافـة عـامـة كطبيعـة الدين."[5]

وعليه،

ركّز ســـعاده في نظرته المدرجية الفلســـفية على المناقب والإدراك المتأصّـــلين في النفس الســـورية فيقول "إننا نســـتمدُّ مُثلنا العُليا من نفسـيتنا، ونعلن أن في النفس السـورية كل علمٍ وكل فلسـفة وكل فنٍ في العالم."[6] ويحذّر في مكانٍ آخر: "إذا لم تقو النفســـية الســـورية

1 سعاده، أنطون، نشوء الأمم، الفصل السابع، ص 164 وما بعدها.
2 المصدر نفسه.
3 المصدر نفسه.
4 المصدر نفسه.
5 المصدر نفسه.
6 سعاده، أنطون، المبادئ، ص 45.

وتتنزّه عن العوامل الخارجية وسيطرة النفسيات الغريبة، فإن سورية تبقى فاقدة عنصر الاستقلال الحقيقي، وفاقدة المُثل العُليا لحياتها."[7]

فكان العازم الدّري في آن، عازمٌ على البناء الصحيح السوي الصلب، مستنداً الى إرث أمته القافي الضارب في تاريخ الإنسانية جمعاء، مقروناً بإرادةٍ ثابتةٍ وأخلاقياتٍ متماسكة غير قليلةٍ للتمييع أو التلوّن. لا بل كان مقداماً في مواجهة التحدي مُجسّداً قناعاته فعل بطولة في صون مبادئه وعقيدته الناشئة، الطامحة الى ولادة إنسانٍ جديد بعد ردحٍ من زمن الانحطاط المفروض "لأن الحياة الإنسانية بلا مبادئ إنسانية يتمسّك بها الإنسان ويبني بها شخصه ومعنى وجوده، هي باطلة، هي شيءٌ يساوي حياة العجماوات."[8]

ولأجل ذلك كله، كانت الأخلاق عنده قاعدة دعوته لمسيرة نهضة حزبه وبلاده (دولة الأمة المصغّرة) فإن "كل نظامٍ يحتاج الى الأخلاق، بل إن الأخلاق هي في صميم كل نظامٍ يمكن أن يكتب له أن يبقى."[9]

وفي سبيل هذه الغاية النبيلة، وضع أربع قواعد ارتكاز لهذا البناء النفسي المُرتجى في القومي الاجتماعي الصحيح وهي: الحرية، النظام، الواجب والقوة، وإذ لا سبيل لصونها إلاّ مجتمعةٍ دونما تفكيكٍ، وذلك بصحة العقيدة وشدّة الإيمان وصلابة الإرادة ومضاء العزيمة " من يوم ولدت هذه النهضة القومية الاجتماعية، نشأنا شعباً حُراً. ومعنى وجودنا هو في هذه القواعد الأربع، الحرية والنظام والواجب والقوة."[10]

الحرية، تلك القيمة الأسمى إنسانياً، نقطة البداية ومنطلق الغاية، غاية الإنسان الحر الذي انطلق من ذاته قبل كل شيء، ليؤسس مجتمعاً حُرا، يقوم بمطلق إرادته لا بعوامل خارجية. إنسانٌ قرر وسار مؤمناً بحقه، رافضاً أي غايةٍ خارج غاية مجتمعه وفلاحه، مستمداً قوته من ذاته الواعية، رافضاً كل أشكال العبودية، منتظراً – إذا ما قُدّر لهُ – أن يهلك كما يليق بالأحرار، لذا كانت واجباً على النفوس العظيمة في آتون الصراع فحزبنا "هو حزب صراعٍ قبل كل شيء"[11] "الانتصار لا يكون إلا بالحرية فالحرية صراع، الحرية ليست حرية العدم، بل حرية الوجود، والوجود حركة. هي حرية الصراع – صراع العقائد في سبيل تحقيق مجتمعٍ أفضل ولا معنى للحرية وراء ذلك."[12]

والواجب، ذاك الشامل الثابت، الذي يستمدُّ وجوبه من العقيدة ومن مصلحة المجتمع، الحقيقة الإنسانية الكاملة، لوجود الفرد وبقائه، وهو محكٌ للفرد وأدائه، وليس العكس، فالأفراد مجرد إمكانية، يأتون ويذهبون، والغاية هي المجتمع "شرط الواجب في الإنسانية، ليكون واجباً، أن لا يعلن ذاته ساعةً ثم يختفي، وأن لا يختزن العدد الفردي، أو المجموعي، في نطاقٍ الخاص حتى يذوب ضمنه، وأن لا يكون واجباً فردياً بل واجبٌ اجتماعي، لذلك هو لا يموت مع الفرد، ولا يتبدّل مع الفرد. إنه قائمٌ ما دام المجتمع قائماً."[13]

والنظام، ركيزة الحياة القومية المجتمعية، ومصدر ثباتها في وجه الفوضى والانحلال، الفرد جزءٌ من كل، يرتبط بعضه ببعض في سبيل النظام الأكمل، فكان عند سعاده نظام فكرٍ ونهج ثم نظام أشكالٍ يحقق غاية الفكر والنهج، وليس شكلياتٍ زائفةٍ استعراضية، بل هو أعمق بكثير " لا خلود للفرد إلا بانتظامه في المجتمع. لا حرية لهُ إلا في القيام بواجب الانتظام فيه. والمجتمع غير المجموع. الأول كيفٌ. الثاني كمٌّ. الأول خزّانٌ ثابتٌ. الثاني أفرادٌ يأتون ويذهبون. يكمّلون آجالهم. ويتساقطون تساقط أوراق الخريف. لكن قيم الحق والخير والجمال لا تذهب معهم. ذلك هو النظام الحقيقي

7 المصدر نفسه، ص 46.

8 سعاده، أنطون، المحاضرات العشر، ص 163، ط 1959.

9 المصدر نفسه.

10 النظام الجديد، ص 111 حزيران 1950.

11 النظام الجديد، شباط 1951.

12 المصدر نفسه، تعاليم وشروح في العقيدة، المجموع والمجتمع.

13 النظام الجديد، شباط 1951.

والخيّر والجميل الذي يقينا العثار في الإغراءات الخارجية المُتأجنبة."[14]

والقوة، في شرعنا القومي ليست تلك القوة الغاشمة، بل هي فعلٌ حيويٌ، بناؤه عقديٌ ملتزم، شاملٌ متجانسٌ متكاملٌ، فهو قوة التفكير والأدمغة، قوة القلوب والشعور، قوة السواعد القادرة والنفوس الهادرة، قوةٌ نفسيّة موحّدة. ولأجل حمايتها وبلوغ غايتها، أصرّ سعاده على وجوب وجود قوة مادية تصونها، تحمي وتحرر، تقود وتنتصر، وتصون الحق القومي، فالحق القومي وليد تصارعٍ في معترك الأمم " المنطق وحده لا يكفي. لا يمكّننا من نيل حقنا القومي بين القوميات المتصارعة في سبيل البقاء. لذلك إن الإنسانية ليست إنسانية واحدة. هي مجموع إنسانيات عددها عدد القوميات والأمم. لذا، ما هو حقٌ للبعض ليس حقاً للبعض الآخر. والمصلحة في العراك هي أخيراً أساس الحق في كل معترك. يعني: أن تفوق الشعوب على الشعوب، أو المدنيات على المدنيات، كان وما زال، غالباً، تفوق سلاح على سلاح. أجل! غالباً ما يكون السيف أصدق إنباءً من الكتب."[15]

وبعد، لا غرابة على الإطلاق كيف أن مدرحية سعاده قد شملت واشتملت على كل هذه الأقانيم القومية الوجودية ببعدٍ اجتماعيٍ مجتمعيٍ فلسفي إنساني " فلسفة التفاعل الموحّد الجامع للقوى الإنسانية. هي الفلسفة التي تقدمها نهضتكم"[16] والتي كانت ولم تزل تميزه عن سواه من العقائد، بإدراكٍ عقليٍ وإثباتٍ علمي، وسياقٍ منهجيٍ مترابطٍ قل نظيره، فتحوّل وانتقل بها من دور الثقيف الباحث، الى باعثٍ لثقافة الحياة، حياة أمةٍ ظن أعداؤها أنها قضت وانتهت.

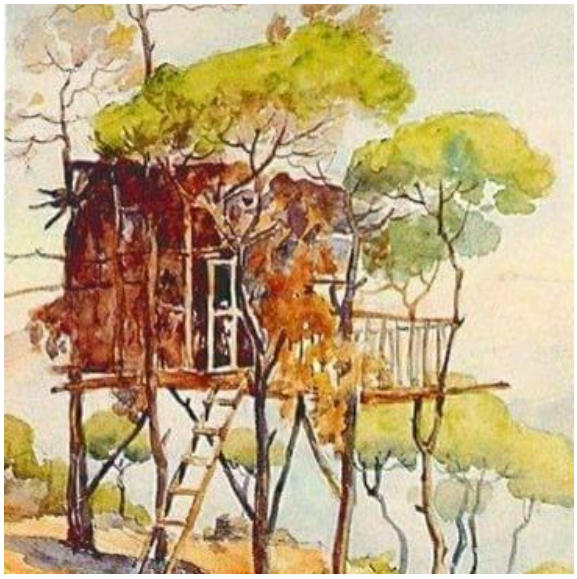

صدق الرفيق الشهيد الدكتور كمال يوسف الحاج حين قال: "أنطون سعاده دفع بالسياسة والفلسفة الى آخر حدود الالتزام، الى التحزّب بالحزب، وفي الحزب تسيّست الفلسفة وتفلسفت السياسة، إن سعاده فيلسوفٌ قبل كل شيء وفوق كل شيء، بفضله، ولأول مرّةٍ، تتفلسف الحزبية فتتحزّب الفلسفة."[17]

* وكيل عميد الإذاعة

14 المحاضرات العشر، م الثانية، أيضاً النظام الجديد، شباط 1951.

15 شروح في العقيدة، مصدر سابق.

16 المصدر نفسه.

17 الحاج، كمال يوسف، فلسفة اللغة، أنطون سعاده (1904– 1949)، القومية السورية.

مشروع التراث السوري الافتراضي

بقلم وكيل عميد الثقافة الرفيق إبراهيم مهنا

كان دور سعاده طليعيا في إعادة التنبه لأهمية التراث السوري واعادة احيائه، خاصة وأن كثيرًا منه قد تعرض للسلب والتزوير وأيضا الطمس والتزوير، فكانت جهوده قد فتحت كوة في هذا المجال، لكنه لم يحظ بالوقت الكافي لإتمام عمله أو وضع هيكلية له. ومن هنا أصبحت المهمة على عاتق أبناء النهضة في تلقف هذا العمل وإكماله ووضع آلية نظرية وعملية له.

إذا، فان تصدع هوية هذا التراث كان العامل الأساس الناتج عن ضياعها نتيجة الاحتلالات وغياب الدولة المركزية الحاضنة لحركتها وانقطاع الدورة الاقتصادية الاجتماعية الثقافية المظهرة حركة حياتها.

أضف إلى ذلك أن التجزئة السياسية كانت العامل الثاني الذي جزأ تراثنا بالكامل، فبتنا نرى تراثا لبنانيًا وتراثا عراقيا وتراثا أردنياً وآخر "سوري" وقص على ذلك. لم يتم إلغاء التاريخ والتراث بل تم تشكيل تاريخ وتراث مزيفين لبناني فينيقي، وعربي وأشوري سرياني، والأنكى من ذلك تمت صياغة علم تجهيلي حيث تصبح جبيل فينيقية لبنانية ويتم استعباد أوغاريت وتصبح جرش أردنية وتصبح عكا فلسطينية وصور لبنانية وهلم جرا.

والعامل الثالث وهو لا يقل خطورة هو عامل الاحتلال اليهودي في العمق والتركي في الأطراف والذين كان لهم دور سلبي في طمس تراثنا وسرقته وتغيير هويته.

هنا تبدى واضحًا أن تراثنا بات في خط خطر التشتت والضياع وتلاشي هويته.

التفاعل مع التراث روحي فكري عاطفي وجداني.

إذاً تم تجزئة الشعب وتجزئة تراثه وتم فصله عن تاريخه وتراثه. إن هذه الهوة التي تم انشاؤها بين الشعب وتاريخه هي في قمة أسباب الاستلاب، وأخطر ما فيها أن الشعب أصبح بلا تاريخ ولا ذاكرة. إن التفاعل مع الذاكرة والتاريخ واستحضارها هي المصدر الروحي الأساسي ومصدر الشحن النفسي للشعب، من هنا فان فقدان مصدر الشحن أو الطاقة هذا، يجعله شعبا خامدا وهذا ما حصل.

لذلك، وبناء على دعوة عمدة الثقافة وإيمانا منا بالدور الثقافي الذي يمكن أن يقوم به الحزب لرسم تصور عملي في هذا المجال، فإنني أقدم هذا التصور الأولي:

هناك ثلاث مستويات مترابطة متدرجة متكاملة بشأن التراث السوري وإعادة احيائه:

المستوى الأول، توثيق التراث، المستوى الثاني، إعادة تقييمه وتقويمه، المستوى الثالث، احياؤه.

تهدف هذه الورقة إلى صياغة المستوى الأول كمقدمة عملية، على أن يكون هناك تتمة للعمل.

أولاً، إنشاء موقع إلكتروني باسم التراث السوري، تحت راية عمدة الثقافة وإدارتها المباشرة، ويشمل:

1. **متحف افتراضي**

(أ) صور القطع الأثرية في المتاحف السورية وشروحات عنها مع روابط إلكترونية.

(ب) صـور القطع الأثرية في المتاحف العالمية وشـروحات عنها مع روابط إلكترونية.

(ت) فيديو شروحات عن القطع الأثرية وأهميتها وروابطها

2. **السلسلة التالية:**

- لائحة بالمتاحف التراثية في كل كيانات الأمة.
- لائحة المؤتمرات والدراسات التي تقدم في هذه المؤتمرات.
- لائحـة المجلات التراثيـة والتـاريخيـة والأثريـة التي تختص بهذا التراث.
- متابعة النشاطات التراثية
- الأيام الثقافية ومنها اليوم العالمي للتراث، اليوم الفلسـطيني للتراث وروابط المواقع.
- لائحـة بـالأفلام الوثـائقيـة التي تعرض تراثنـا وتـاريخنـا وآثـارنـا وروابط تحميل إلكترونية.
- لائحة بمواقع وزارات الثقافة في كياناتنا مع وصلاتها.
- لائحة بالمناسـبات التراثية التي يتم احياؤها – لباس، مطبخ، رأس سنة ...
- لائحة بالمواقع الأثرية السورية كاملة مع لمحة عنها ووصـلاتها ألإلكترونية.
- لائحة بالمنجزات السـورية التاريخية. نصـوص التشـريعات السورية التاريخية. الأساطير. الأبجديات....
- لائحة المجلات والدوريات التراثية إضافة إلى المجلات التاريخية أو الأثرية التي تشمل التراث وروابط مواقعها.
- لائحة جمعيات التراث مع مواقع إلكترونية وصولاتها إذا وجدت.
- لائحة الأسواق التراثية في سورية.
- لائحة الفرق الفنية السورية. رقص فولكلوري...
- المدن السورية المدرجة على لائحة التراث العالمي.
- المواقع المدرجة على لائحة التراث العالمي.
- لائحة ورش أعمال تراثية (فخار، فسيفساء).
- لائحة المكتبات السورية التاريخية (أشور بانيبال)
- لائحة المسارح السورية التاريخية مع شروح ...
- لائحة التشريعات السورية التاريخية ونصوصها كاملة.
- لائحة الأسـاطير السـورية كاملة البابلية والكنعانية وغيرها مع روابط نصوصها كاملة.
- نصوص الاتفاقات العالمية والإقليمية الخاصة بالتراث وعضوية وزارات الثقافة فيها.
- مجلات تراثية مجلة التراث الشعبي سوريا. مجلة التراث الشعبي العراق. مجلة مرايا التراث lau.
- لائحة المراكز تراثية في الكيانات مع روابط تحميل.
- لائحة الكتب التراثية والتاريخية والأثرية التي تخص تراثنا مع روابط تحميل.
- لائحة موسوعات التراث مع روابط تحميل.
- لائحة القواميس التراثية ووصلات تحميل.
- مشـاريع التوثيق والرقمنة التي بدأت العمل في وزارات الثقافات في الكيانات.
- فصـل خاص بالموسـيقى السـورية ونماذج منها عبر تاريخها كالموسيقى السومرية والبيزنطية والقدود الحلبية وغيرها.
- لائحة الحرف السورية التراثية ومعلومات عنها.
- لائحة التقارير التراثية التي تخص التراث السوري.
- لائحة الصفحات الإلكترونية خاصة بإحياء التراث.
- لائحة الندوات والمحاضـرات التراثية التي تخص الآثار السـورية وتوثيقها.
- لائحة المهرجانات التراثية التي تقام في سوريا ونشر أخبارها.
- لائحة مشروعات إحياء التراث في كياناتنا.
- متابعة أعمال الطمس والهدم والتزوير والسـرقة للأثآر السـورية والمواقع التي يقوم بها العدو اليهودي في فلسطين وتوثيقها.

3- **اقامة مؤتمر سنوي للتراث السوري** برعاية عمدة الثقافة ضمن العناوين المذكورة أعلاه لوضـع تصـور أولي حول توثيق التراث السوري واحيائه.

4- **الاستحصال على منحة جامعية** دراسات عليا أو دكتوراه لأحد الطلاب المهتمين بعنوان توثيق التراث السوري او موسوعة التراث السوري.

الثقافة في المشروع القومي الاجتماعي

بقلم الأمين د. نسيب أبو ضرغم

إن الثقافة في المشـروع القومي الاجتماعي، تحتل حيزا تأسـيسـيا، ليعكس تأثيره على مجمل أنشطة الحركة السورية القومية الاجتماعية، بل ليتناول صحة اتجاهها وحمايتها.

وإذا كـانـت الثقافـة تحتل هذه المكـانـة، فلأنهـا تمكن العـاملين في صفوف الحركة السورية القومية الاجتماعية من خدمة أهداف الحركة والغاية التي اجتمع القوميون الاجتماعيون لتحقيقها. ولا يكون ذلك الا إذا انصـبَّ الاهتمام على المسـائل الروحية والثقافية والأسـس الفكرية، وذلك عبر دراسة:

1- حقيقة مبادئ النهضة.

2- الشـروح الأولية الأسـاسـية التي توضـح الإتجاه – الغاية – الأهداف القومية الاجتماعية.[1]

في الحقيقة، تعد المحاضرة الأولى من المحاضرات العشر أماً لبقية المحاضـرات، من حيث أنها عرضـت لمفهوم الثقافة ودورها وفعلها ونتائجها، وخاصـة تلك النتائج المدمِّرة عبر الجسـم القومي، متى كانت هذه الثقافة سـطحية – تكتفي بالإنتشـار الأفقي المؤدي الى الميعان والتفسخ والتفكك."[2]

وبناء عليه، تظهر الثقافة البعد الأسـاس في تكوين الحركة السـورية القومية الاجتماعية، ونضـالها. وكذلك في الشرط الموجب لاستمرارها وانتصارها.

وحيث انت في الحزب، وإن كنا كمؤسسة حزبية، أم أعضاء مستقلين في انتاجهم، بمعنى خارج توجيه المؤسـسـة، وإن كنا الأكثر مسـاهمة في الإنتاج الثقافي بين الأحزاب والمجموعات القائمة، الا أن ذلك لا يكفي، ذلك أن معيارنا في هذا الشـــأن، هو الإنتاج الثقافي الذي يحصـن القضـية القومية الاجتماعية، وبالتالي المعيار الذي يختص بمدى وصـولها الى شـعبنا، فالقضـية قد تحيا في نفوس اتباعها وعقولهم، ولكنها لا تنتصـر إلا إذا اعتنقها الشـعب وآمن بها. فهل غير الثقافة من وسيلة يمكن أن تصلنا بالشعب؟

وحتى نصـل إلى هذا الهدف، لا بد من محاولة ايجاد السـبل والأساليب الكافية بإيصـال مبادئنا إلى الشعب وخاصـة فئة الشباب منه. وفي سياق ذلك، فإني أقترح التالي:

1- تشكيل لجنة تحدد عمدة الثقافة عددها وأعضائها.
2- مهمة هذه اللجنة في خطوطها العريضـة: وضـع خطة إذاعية – ثقافية موزعة أعمالها لمدة سنة.
3- ان يجري هذا النشاط الثقافي بتوجيه عمدة الثقافة ورعايتها.

[1] المحاضرات العشر، المحاضرة الأولى – دار فكر للأبحاث والنشر، طبعة 20/5، ص 16.

[2] المرجع ذاته، ص 16.

4- جعل الندوة الثقافية هي الإطار الذي يحتضن العمل الإنشائي الثقافي وطرحه على الناس.

5- خلق مجموع من مثقفي الحزب والمهتمين في الشأن الثقافي تكون متابعة الندوة الثقافية حضورا ومشاركة وابداعا، نشاطاً أولياً بالنسبة لها.

6- عقد ندوات فصلية، وإذا لزم الأمر، شهرية لمناقشة كتاب صادر عن الحزب بحضور مثقفين غير حزبيين ووسائل اعلام.

7- تكليف رفقاء قوميين اجتماعيين متواجدين في مراكز القرار الدولي: الولايات المتحدة – بريطانيا – روسيا فرنسا – ايطاليا.. للدخول إلى أرشيف هذه الدول والوقوف على وثائق تعود بالصلة والعلاقة مع وضعنا القومي العام ومع وضع حزبنا أيام انتداب هذه الدول، او بما يجمع لديها من معلومات، وذلك لسد ثغرة واسعة في ثقافتنا المقلقة بتاريخ حزبنا وأمتنا.

8- رعاية عدد من رفقائنا المؤهلين لتعلم اللغة العبرية، فمن المعيب أن لا يوجد في الحزب الذي يواجه الخطر اليهودي منذ ما قبل قيام الكيان العدواني، قومي اجتماعي يعرف لغة العدو. يجب أن يكون لدينا قسم في عمدة الثقافة مهمته رصد الحراك الفكري اليهودي والرد عليه.

9- يجب أن نلجأ إلى طريقة جديدة في ترسيخ الفكر القومي الاجتماعي وتوضيحه لدى القوميين الاجتماعيين، ويكون ذلك، بأن توجه أسئلة محددة عبر المنفذيات وبالطريقة النظامية الى عمدة الثقافة من قبل قوميين اجتماعيين لتقلق بالإستفسار عن موضوع عقائدي – ثقافي للرد عليه من قبل العمدة عبر أجهزتها. ان في ذلك وسيلة ناجحة لتوحيد المفاهيم القومية الاجتماعية.

10- أن تقوم عمدة الثقافة والفنون الجميلة بإجراء مسح لرفقائنا الفنانين في شتى أنواع الفنون – رسم – نحت – تصوير – موسيقى.. وتحضر عبرهم لعرض أعمال فنية خلال فصل الصيف بحضور الرفقاء القادمين من عبر الحدود لتعزيز روابطهم بالحزب وحركته، وبالوطن والأمة وتاريخها.

11- اقرار مشروع السياحة الحزبية، وهذا المشروع تقدمت به سابقاً الى عمدة التربية والشباب، وهو في الحقيقة مشروع مشترك، يمكن ان تتوزعه كل من عمدتي – التربية والشباب مع عمدة الثقافة والفنون الجميلة. والسياحة الحزبية هي في تعريف شبابنا وشاباتنا وخاصة المغتربين منهم، على المواقع التي شهدت نضالات قومية اجتماعية، على مدى الأمة بشكل عام وعلى مدى لبنان بشكل خاص. لأن في ذلك إعادة احضار هذا التاريخ الذي كتبه شهداء الحزب ومناضلوه بدمائهم وتضحياتهم. (يمكن الحصول على جداول بمواقع النضال القومي الاجتماعي من المنفذيات)

12- تكليف متخصصين في الشؤون الثقافية على اختلافها، لإعداد ملفات ذات صلة – بتراثنا القومي وتقديمها مادة ثقافية للعموم.

لقد أسأنا فهم سعاده... فأسأنا إليه

بقلم الرفيق شحادي الغاوي*

العقيدة والثقافة:

"إن حرب العقائد التي أعلنّاها نحن حين أعلنّا تعاليمنا السورية القومية الاجتماعية تتطلب منا جعل قضية الثقافة في مقدمة القضايا التي يجب أن نوليها اهتماما خاصاً، وأن نخطط لها الخطط ونرتب الصفوف".[1]

هذا ما أعلنه سعاده في محاضرته في مؤتمر المدرسين القوميين الاجتماعيين في 17 تموز سنة 1848، أي قبل استشهاده بسنة واحدة. وقال أيضاً في نفس المحاضرة:

"إن القضية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية هي قضية التربية والتثقيف... فقضية الصراع العقائدي الذي أثارته الحركة السورية القومية الاجتماعية بتعاليمها الجديدة هي قضية صراع ثقافي تعليمي بين مبادئ الحياة الجديدة ومبادئ الحياة الجامدة".[2]

وكان أيضاً قد شدد على أهمية ما سمّاه "الأساس الثقافي"[3] للحركة، وذلك في مقدمة قانون الندوة الثقافية الذي وضعه في 25 نيسان 1948.

فالثقافة إذاً هي القضية الأولى والمهمة الأولى في الحركة السورية القومية الاجتماعية.

الثقافة هي علم وفلسفة:

إن قضية الثقافة عند سعاده هي قضية علم وفلسفة معاً، فها هو يضع العلم والفلسفة في طليعة قضايا الثقافة عندما قدّم لنا تعريفاً محدداً وواضحاً لمعنى الثقافة، وسعاده هو أول عالم وأول فيلسوف وأول سياسي، إذا لم يكن الوحيد، الذي عرّف وحدّد وأوضح معنى الثقافة، أي أعطاها تعريفاً، وذلك في كتابه العلمي "نشوء الأمم" حيث نقرأ في الفصل السابع منه:

"الثقافة هي مجمل العلوم والفلسفات التي تتناول الحياة وما له علاقة بها، وما يحصل من ذلك من مستوى عقلي واتجاهات فكرية واعتقادات مناقبية وإدراك للشؤن النفسية والمادية".[4]

ثم أعاد ذِكر ذلك وذَكَر ارتباط الثقافة بالعلم والفلسفة معاً عندما وضع قانون الندوة الثقافية، حيث قال:

"أنشئت الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف سنة 1937 للأبحاث الثقافية ولنقل الفكر من السطحيات ومسائل الإدراك العادي الى الأساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي".[5]

---

1 الإعمال الكاملة، الجزء الثامن، صفحة 233.
2 نفس المصدر، ص 230.
3 نفس المصدر، ص 209.
4 الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، صفحة 146.
5 الأعمال الكاملة، الجزء الثامن، صفحة 209.

وضوح سعاده وتخبطنا نحن:

أمّا نحن اليوم، وبعد تسعين سنة من إضاءات سعاده حول هذه المسألة، ورغم إلحاح مهمة ومسؤولية "الصراع الثقافي" و"حرب العقائد التي أعلنّاها"، حسب تعبيره، ما زال هذا "الأساس الثقافي" الذي بناه غير واضح تماماً للكثيرين منّا نحن معتنقي عقيدته ونظرته الى الحياة، فما بالك بالآخرين خارج صفوف الحركة أصدقاء كانوا أم خصوم.

إن مفاهيماً أساسية من مفاهيم وتعاليم العقيدة والفلسفة السورية القومية الاجتماعية لا زالت مدار التباسات وغموض غير مبرر ومجال عبث و"تخبيص" يجب أن يوضَع له حد.

إن أفظع ما يتعرض له الفلاسفة من ظلم وتشويه يأتي من تلامذتهم وأتباعهم قبل أن يأتي من خصومهم. ونقصد بذلك عندما "يتقوّل" هؤلاء التلاميذ بما لم يدرسوه جيداً ولم يدركوا قيمته الفلسفية، فيقرأون الفلسفة كما لو أنهم يقرأون مقالاً سياسياً أو قطعة أدبية أو حتى قصّة. يقرأون القول الفلسفي بخفة واستسهال منتزعينه من سياقه وموضوعه دون قراءة ما قبله وما بعده ودون قياسه وفهمه على ضوء المبادئ الأساسية للفيلسوف صاحب القول.

صحيحٌ أن الأفكار الفلسفية الجديدة هي في البداية عرضة لسوء الفهم والتأويل، لأننا عندما نتلقى لأول مرة قولاً جديداً يحمل فكرة جديدة، خاصةً في موضوع الفلسفة، فإننا نتلقاه "بوعينا القديم" ونفهمه بواسطة ما في عقلنا من مفاهيم قديمة، أي بواسطة جهاز المفاهيم القديم الذي تعوّدنا عليه. فطبيعي أن يحدث في البداية سوء فهم أو التباس أو تأويل يصرّ على جذب الأفكار الجديدة صوب الأفكار القديمة الراسخة في الذهن التي تجيء الأفكار الجديدة لتغيرها وتبدّلها. وطبيعي أن تأخذ الأفكار الجديدة منّا وقتاً كافياً لاستيعابها وفهمها وإدراك كافة أبعادها وحقيقة ما تعنيه، أو ما تريد أن تعنيه لنا وتريد أن تغيّره في نظرتنا الى الحياة، لكن أن نبقى أسرى تأويلات غير صحيحة لأفكار سعاده بعد مضي تسعين سنة على إعلانها منه وكتابتها بقلمه فأمر مستغرب ومستهجن ومدان.

وإذا كان عليَّ ذِكر هذه الأفكار والمفاهيم الجديدة التي تعرضت بعد سعاده لتأويلات غريبة وبعيدة عن معناها السعادي الحقيقي فإني أذكر مفاهيم المدرحية والديمقراطية التعبيرية والإنسان المجتمع، وغيرها من القضايا الفكرية مثل قضية "الفرق الواضح بين السياسة والاجتماع" التي أسيءَ فهمها كثيراً، وقضية "من يدري إذا كان العالم سيصبح أمة واحدة في المستقبل" التي صارت خطأً شائعاً يقع فيه الكثيرون، الخ.

العالم ليس أمة واحدة... ولن يصبح:

سنتناول اليوم واحدة من تلك القضايا الفكرية التي تعرضت للتأويل الفاسد، سنتناول هذه "الخبرية" السخيفة التي لا زال يرددها كثيرون، وعجباً أن بينهم متعلمون وأساتذة ودكاترة ومسؤولون!

لقد زعم زاعمٌ أن سعاده في كتابه "نشوء الأمم" سأل نفسه: هل يصبح العالم أمة واحدة في المستقبل؟ وأن سعاده أجاب نفسه: من يدري؟

ومن الواضح أن السؤال والجواب صيغا بشكل يوحي بأن "من يدري؟" معناها أن ذلك جائز ومعقول ومحتمل الحدوث.

أمّا عندما نرجع الى المصدر، ونقرأ قول سعاده الذي تمَّ تزويره، نجد أن سعاده لم يسأل نفسه أبداً ولم يجب نفسه أبداً ولم يكن يتكلّم بالمرّة عن الأمة وصيرورتها في المستقبل، وإن ما قاله معناه هو تماماً عكس ما يتمّ تأويله وأخذه الى ما ليس منه. وهاكم الحقيقة الكاملة لهذه المسألة:

في الفصل الرابع من كتاب "نشوء الأمم" (الاجتماع البشري)، وتحت عنوان "اجتماعية الإنسان وقِدمها"، يقول:

"الاجتماع صفة ملازمة للإنسان في جميع أجناسه، إذ إننا حيثما وجدنا الإنسان وفي أية درجة من الانحطاط أو الارتقاء وجدناه،

وجدناه في حالة اجتماعية. وهكذا نرى أن المجتمع هو الحالة والمكان الطبيعيان للإنسان الضروريان لحياته وارتقائها".[6]

ثم في الفصل السادس (نشوء الدولة وتطورها)، وتحت عنوان "الثقافتان المادية والنفسية"، يشير الى ما قاله في الفصل الرابع مما هو مثبَت أعلاه، ويقول:

"ولقد تكلمنا عن الاجتماع البشري وأشرنا الى أنه عريق في القِدم وأنه صفة بشرية عامة، حتى أن ما قلناه بهذا الصدد ليحمل على الاعتقاد أن اجتماعية الإنسان شيوعية بلا حدود أو قيود، والواقع غير ذلك. فالمجتمع الإنساني ليس الإنسانية مجتمِعة، ومن يدري هل يقدَّر للإنسانية أن تصير مجتمعاً واحداً في مستقبل العصور؟"[7]

هذا كان القول الذي تعرض لسوء التأويل، ولا نبالغ إذا قلنا أنه تعرّض للتزوير!

واضح جداً أن سعاده لم يكن يتكلم عن الأمة ومعناها وإذا كان العالم سيصبح أمة واحدة أم لا، بل كان يتكلم عن الاجتماع البشري العريق في القِدم وعن اجتماعية الإنسان التي هي صفة بشرية عامة، أي أن هذه الصفة تنطبق على الإنسان في كل أجناسه قديماً وحديثاً. وحتى لا نسيء فهم معنى الصفة البشرية العامة فقد استدرك سعاده وقال لنا أنها لا تعني أن اجتماعية الإنسان هي شيوعية بلا حدود، لأن الواقع غير ذلك، فالمجتمع الإنساني ليس الإنسانية مجتمعة... ومن يدري هل يُقَدَّر للإنسانية أن تصير مجتمعاً واحداً في مستقبل العصور.

إنه لواضح جداً جداً أن سعاده لم يسأل نفسه ولم يجب نفسه، وإن عبارة "من يدري" هي نافية وليست احتمالية.

إنه لواضح جداً أن عبارة "من يدري" معناها: من يعلم، من يستطيع أن يدّعي ذلك، من يقدر أن يتنبّأ ماذا سيحدث في مستقبل العصور.

وما يشير الى أن عبارة "من يدري" هي نافية وليست احتمالية هو أنه لم يقل مستقبل الأيام أو مستقبل السنين أو حتى مستقبل القرون بل قال مستقبل العصور، والعصر الواحد يعني مئات آلاف السنين فما بالك بالعصور، إنها تعني آماد بعيدة بما لا يمكن رؤيته وإدراكه، وفي هذه الآماد البعيدة لا أحد يستطيع أن يدّعي شيئا.

إن سعاده قال قوله في كتاب علمي، والعلم هو وصفي يشرح واقعاً موضوعياً موجوداً، إنه كان يكتب عِلماً ولم يكن يتحدث عن رؤيا، ولم يكن يُخمِّن ويبدي خيالات ونبوءات لمستقبل العصور. فعبارة "من يدري" معناها أن لا أحد يدري ولا أحد يمكنه أن يدّعي، وليس معناها أن العالم يمكنه أن يصير مجتمعاً واحداً وبالتالي أمة واحدة في مستقبل العصور، فما بالك في المستقبل القريب!!

ولقد ختم سعاده فكرته نفسها في الفصل السابع والأخير من كتابه حيث قال:

"ولقد أشرنا في غير موضع من هذا الكتاب الى أن الاجتماع البشري ليس اجتماعاً مطلقاً. فإذا كان الاجتماع صفة عامة في الإنسانية فهذا لا يعني أن الإنسانية مجتمع واحد يسري فيه الاجتماع بمجرّد الإنسانية".[8]

أيها الدارسون القوميون الاجتماعيون، وأيها المثقفون والمتعلمون والاساتذة والدكاترة، هلّا تكفّون عن الترديد الببغائي بأن سعاده سأل نفسه وأن سعاده أجاب نفسه وقال إن العالم يمكن أن يصبح أمة واحدة في المستقبل؟!

هلّا تكفون عن إساءة قراءة سعاده والإساءة إليه!

---

* الرفيق شحادي الغاوي باحث وكاتب مقيم في سيدني.

[6] الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، صفحة 37.
[7] نفس المصدر، ص 73.
[8] الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، صفحة 120.

المنهج القومي ومفردات الخطاب الديني

بقلم الأمين أحمد أصفهاني

"ليس في عقيدتنا القومية الاجتماعية ما يُحرّم العقائد الدينية أو يحتجز حرية الفكر في أي أمر من الأمور الروحية والقضايا الفكرية، بشرط أن لا تطلب الهيمنة على عقيدتنا القومية الاجتماعية أو إفسادها أو تعطيل غايتها الأخيرة".

سعاده

رسالة إلى فخري معلوف بتاريخ 4 آذار 1945

ليس من اختصاصات الفكر القومي الاجتماعي، في أية حال من الأحوال، أن يتدخل في القضايا الدينية أللهم إلا إذا حاول رجال الدين أو المؤسسات الدينية التدخل في الشأن القومي العام بحيث تؤثر أو يمكن أن تؤثر في الوحدة الروحية الاجتماعية للأمة، والتي إذا تضعضعت ستؤدي إلى تشرذم المتحد الواحد إلى جماعات متناحرة، تماماً كما هو حاصل في بلادنا هذه الأيام. ونقصد بالفكر القومي الاجتماعي عقيدة سعاده والإنتاج الثقافي لمعتنقي هذه العقيدة سواء في المؤسسة الحزبية أو خارجها. صحيح أن حرية التفكير في أي موضوع كان ليست محرمة على القوميين الاجتماعيين، لكن ليس من اختصاص المؤسسة الحزبية أو أي قومي اجتماعي أن يفرض على الآخرين رؤية بعينها. فليس هناك رأي واحد نهائي في الماورائيات يمكن أن يصبح مقياساً للإيمان العام.

أدرك سعاده باكراً خطورة الخلط بين المسائل القومية والمسائل الدينية، لذلك شدّد في مبدأين من المبادئ الإصلاحية للحزب السوري القومي الاجتماعي على ضرورة" **فصل الدين عن الدولة** "و"**منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين**". وهو رفض مراراً الإنجرار إلى مناقشات عقيمة في قضايا غيبية، غير أنه لم يكن ليتردد في التصدي لأعلى المراجع الدينية حينما تقحم نفسها في شؤون سياسية أو مسائل تقع خارج اختصاصها أو عندما كانت تنشأ حالة تهدد الوحدة القومية، ما يستلزم موقفاً قومياً اجتماعياً واضحاً. ومن الأمثلة ذات الدلالات المهمة مقالاته في جريدة" النهضة "رداً على خطاب البطريرك الماروني أنطون عريضة في أواخر سنة 1937، والنقاش المسهب لـ"حارضة "رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) في الأرجنتين بين 1940 . 1942. وما كان سعاده ليتصدى لترهات الخوري لولا أن هذا الأخير قصد إثارة الفتنة الدينية بين السوريين في المغترب من أجل غايات شخصية، فكانت النتيجة سلسلة "جنون الخلود" التي أراد الزعيم أن يسمي القسم الثاني منها بـ" المسيحية والمحمدية والقومية".

وعلى رغم هذا الموقف الجذري والحازم في فصل الدين عن الدولة، إلا أن سعاده لم يجد ما يمنع أي قومي اجتماعي من ممارسة اعتقاداته الدينية، شريطة أن لا تتعارض تلك الممارسة مع وحدة الروح القومية، وأن لا تكون سبباً للشقاق بين أبناء الوطن الواحد. ولعل في طريقة معالجته لمسألة انحراف فخري معلوف، كما أوردها في رسائله إلى غسان تويني، ما يُعطينا فكرة واضحة عن المنهج القومي الاجتماعي في التعاطي مع الشؤون الدينية.

وبقدر ما يُمنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين، يُمنع رجال السياسة القومية أيضاً من التدخل في شؤون الدين من حيث الاعتقاد بالماورائيات. يقول سعاده في رسالته المشار إليها أعلاه إلى فخري معلوف: لا **يمكننا ونحن نبغي الصحيح أن ننظر إلى الدين بمنظار سياسي ولا إلى السياسة بمنظار ديني. يحسن أن يكون الإنسان مؤمناً في الدين ولا يحسن أن يكون مؤمناً في السياسة**".

ونستعيد هذا الكلام الآن نظراً إلى ما نراه من إقدام رجال السياسة القومية على استعارة تعابير ومفردات دينية في معرض تناولهم الأحداث السياسية والاجتماعية في بلادنا. هذا الخلط بين المسائل القومية والمسائل اللاهوتية يؤشر إلى خلل في فهم بعض القوميين للعقيدة القومية الاجتماعية التي تمنع "**النظر إلى الدين بمنظور سياسي ولا إلى السياسة بمنظور ديني**". ولعل الدمج بين المفاهيم السياسية ذات الخلفيات الدينية أو المذهبية من جهة ومفاهيم السياسة القومية من جهة أخرى هو الذي أوصل بعضنا إلى تبني مقولات ومواقف قوى خارجية تستمد عقائدها وسياساتها من نظريات غيبية ذات جذور دينية راسخة.

الإسلام المسيحي والإسلام المحمدي (في تجلياته السورية المتطورة) يشتركان في قيم روحية تسعى إلى خير الإنسان وسعادته وطمأنينته النفسية. أما نظريات الخلق والموت والحشر والنشر والعالم الآخر فتخضع لاعتبارات القناعة الفردية التي لا يحق لأحد أن يسحبها على الآخرين أو يفرضها عليهم أو يمنعها عنهم، لأن ذلك سيعطل وحدة الحياة في المجتمع القومي ويقيم الحواجز الروحية بين أبناء الوطن الواحد .إن الخلط بين الدين والسياسة، بغض النظر عن المستفيد من ذلك، يسئ إلى الدين بقدر ما يسئ إلى السياسة. والمسؤولية هنا لم تعد تقتصر على رجال الدين المتدخلين في السياسة بل أيضاً على رجال السياسة القومية الذين راحوا يستعيرون المفردات الدينية لتبرير أو تعزيز مواقفهم القومية!

يعاني مجتمعنا السوري من تناقضات دينية ومذهبية حادة في هذه المرحلة، يزيدها خطورة تنطح رجال الدين من مختلف الطوائف للتحكم بالدفة السياسية بما يتناسب والمصالح الذاتية لكل جماعة. والمصيبة الكبرى في هذا الوضع أن بعض المواقف لا يتجاوز كونه نكاية بالطرف الآخر وفق مقولة "كرهاً بعلي وليس حباً بمعاوية "! فلا يعود الموقف ذا قيمة بحد ذاته بقدر ما تكمن أهميته في شخصية ومكانة مَنْ يصدره. إن الأزهر وقم والنجف وبكركي والفاتيكان ومكة وفاس والقيروان وغيرها وغيرها هي مراكز ذات إيحاءات مذهبية، بغض النظر عن طروحاتها السياسية التي قد تلامس في بعض الأحيان المسائل القومية. ولذلك لا يسع الفكر القومي الاجتماعي أن يتبنى مثل ذلك الخطاب المذهبي لأنه سيضع نفسه فوراً في مواجهة خطاب مذهبي نقيض. إن أكثر ما تحتاج إليه الأمة هذه الأيام، في معمعة الاستقطاب الدموي الحاد، هو الفكر القومي العابر لزواريب الطوائف ومتاريسها!

لندن في 30 حزيران 2014

وأنا سائرة معهم يا زعيـمي

الأمينة الأولى جولييت المير سعاده

يا زعيمي... يا رفيقي:

لقد تعودت أن آتي إليك في مثل هذا اليوم وقلبي يطفح بهجة وفرحاً،

حاملة إليك تعابير أزكى ما في نفسي وأطيب ما في كياني...

تعودت أن آتي لأراك، كما أنت

لأمزج فرحي بفرحك

وبهجتي ببهجتك...

تعودت أن أستمد من إشعاع مغزى هذا العيد، عيد مولدك،

إيماناً بالحياة... الحياة التي ولدتْ يوم ولدت.

واليوم... كم أنت قريب مني، وستظل قريباً

أشعر بقربك

لأنك أنت شعوري.

تعودت أن أستمد من إشعاع مغزى هذا العيد

عبرة صوت الحق

الذي انطلق منك للأمة السورية وللعالم

صوت حق وخير وجمال

صوت صراع... صراع يسحق الباطل.

من يذكر هذا اليوم يذكر رسالتك الخالدة،

عبقريتك الجبارة... نفسيتك السورية الحرة...

يذكر مجد أمتي وفخر تاريخنا السوري...

من يذكر هذا اليوم يذكر...

إذ أتيت إلينا واحداً... واحداً...

فأيقظتنا من نوم عميق وأزحت عنا غبار التاريخ

الذي نسج علينا غطاء من الوهم كثيفاً،

وأنك كشفت حقيقتنا وبعثتنا أمة حية

مذهباً استوحيته من صميم نفسية أمتك العظيمة

قيماً سامية ندين بها مؤمنين

وكنت أنت مثال هذا المذهب السامي.

كنا نرى في ارتفاع كمالك ارتفاع هذا المذهب

الذي رفعتنا به ومعه من الأرض نحو السماء.

إني أراك دائماً

أراك قائداً هادياً... وأراك رفيقاً وفياً

أراك مصلحاً عظيماً... وأراك متواضعاً أنيساً.

أراك نابغة العصور وتلميذ الحقيقة الباحث

أرى الأمة فيك وأراك في الأمة.

أراك زعيمي

من حياتك... من نفسيتك السورية العظيمة

نستمد كل ما نحتاج إليه لإتمام رسالتك الخالدة

نجتلي الكنوز التي كشفت لنا عنها في وجودك

ونضيف عليها ما علمتنا إياه الآن باستشهادك الرائع

أمثولة الموت لأجل الحياة المثالية

ميتة الأبطال صانعي التاريخ.

لقد سقط جسدك ليخلد ذكرك

إنك لم تمت لأنك أنت القضية...

والقضية حيّة إلى الأبد

في قلب كل سوري حيّ

في قلب الأمة وفي دماغها.

وأنت أنت قلب الأمة وأنت دماغها...

يا حبيبي يا زعيمي

إن صدرك الرحب في احتمالك المشاق

علمني أن أخطو وراءك

واستشعر لذّات التضحية التي كنت تقوم بها

لأشاهد وأشهد: على إخلاصك الصافي

وكبرياء نفسك الجبارة

على تغلبك في المواقف الصعبة على الصعاب

لتخرج بنا والانتصار، انتصار العز والبطولة

هالة على جبينك...

أراك في علياء نفسك تدوس النفعية المادية

وأراك منصباً ساعات طوالاً تعطي بلا انقطاع

خيرات تفكيرك وموهبة نفسك فيك...

لم تفكر مرة واحدة بذاتك لترتاح،

فكنت تعطي وتعطي بلا انقطاع

وكنت تحرق كل ما في كيانك لتنير الطريق التي خططتها لنا

طريق مجد الأمة... طريق الحياة.

يا زعيمي... يا رفيقي:

لقد عاد أول آذار

فلنهيئ المشاعل على التلول...

لقد أتى أول آذار

وفي كل قلب رجاء لرؤيتك وشوق لسماع حديثك.

لقد أتى أول آذار

والأمة بحقيقتها تحج إلى مقرك وتتجه إليك

وقلبها طافح بشعور حيّ لشخصك المخلص

وأنا... أنا سائرة معهم يا زعيمي

ومعي طفلاتك الثلاث

إلى المحج... إلى المكان الذي ولدت فيه

حاملة إليك مشعلاً

في فكري لا ينطفئ،

وفي قلبي معبد منير.

لقد أردت لأمتك المجد والخلود

فخلدت فيها...

فنم يا زعيمي على أجنحة المجد وقمم العز والخلود

فهي طوع لك فخورة بك.

لقد تعاهدنا في الحياة يا زعيمي حتى الموت

وتعاهدنا للموت في سبيل الحياة.

سجن المزة